

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

الأنساق الثقافية في رواية الخيال العلمي رواية "جلالته الأب الأعظم" لحبيب مونسي أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الدكتورة :

فوزية تقار

إعداد الطالبات:

- ✓ خديجة غريب
- ✓ سارة جديدي
- ✓ سهام غومة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
نوال بومعزة	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
فوزية تقار	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
فطيمة الزهرة حفري	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

الموسم الدراسي: 1443/1442هـ - 2021/2022م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

" لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا "

صدق الله العظيم

سورة النساء : الآية 161

شكر و عرفان

نرفع أسمى معاني الشكر والامتنان وأصدق آيات التقدير والعرفان إلى الباحثة الدكتورة

(فوزية تقار) التي سقت هذا البحث بنصائحها الثمينة وتوجيهاتها القيّمة .

كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نشكر لجنة المناقشة التي ستشرف على قراءة هذا البحث و مناقشته

وتقييمه.

ودون أن ننسى كلّ من أضاء لنا شمعة في هذا الطريق ولم يبخل علينا بالنّصح والتشجيع من قريب

أو بعيد . لهم منا جميعا خالص الشكر وبالغ التقدير .

كل الشكر والتقدير لكم جميعا .

مقدمہ

مقدّمة:

تعتبر رواية الخيال العلمي نتاجا للحدّثة في المجالات الفكرية والأدبية والعلمية ، وهذا ما أدخلها إلى عوالم التجريب والبحث عن هوية الماضي والحاضر في استشراف المستقبل مما جعلها تتسم بالإيديولوجية ، وأصبحت بذلك تحمل واقعا ثقافيا فكريا سياسيا ، ودينيا عاكسة لصورة الأديب باعتباره أحد أهم الشخصوس في المجتمع ، والذي في بعض الأحيان يقوم بالتفكير عنه .

إنّ البحث في إيديولوجية رواية الخيال العلمي تفرض علينا الولوج في الساحة النقدية التي كانت لها طروحات دقيقة عبر أسئلة المتخيّل العلمي واللغة والايديولوجيا والهوية ، والتاريخ ، والمستقبل ، والدين ، وغيرها من الأسئلة التي حاول النقد الثقافي أن يكشفها ، كونه نقد يقدم أهمية لكل النصوص والخطابات الأدبية الفنية والجمالية باعتبارها ظاهرة ثقافية مضرة وبتعبير آخر، يسعى لربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن.

فالنقد الثقافي يحلل النصوص والخطابات الدينية والفنية والجمالية في ضوء معايير ثقافية ، وسياسية، واجتماعية، وأخلاقية ، وهذا ما حملته رواية الخيال العلمي من مضمرات نسقيّة كونها وليدة واقع نفسي واجتماعي وثقافي في رؤية استشرافية .

لهذا كان محور اهتمام هذه الدراسة في رفع الستار عمّا تحمله البنى السردية من مضمرات نسقية إيديولوجية ضمن التشكيل الروائي في المتخيّل العلمي ، وفي كيفية تجلّي هذه الأنساق الضمنية على مستوى البنية السطحية للرواية ضمن هيكلها اللغوية والدلالي الخاص بهذا النوع من السرديات، تحت عنوان البحث : (الأنساق الثقافية في رواية الخيال العلمي - رواية جلالته الأب الأعظم لحبيب مونسى أنموذجا -) تعريفا وتحليلا لأشهر بدايات التجربة السردية الجزائرية للمتخيّل العلمي وما تحمله من رؤى للواقع وفق مرجعيات الكاتب المختلفة .

مقدمة

ولعلّ من الدوافع التي جعلتنا نتحمس لهذا العنوان:

- التعرف على الخيال العلمي في الخطاب الروائي ، ورصد مكامن التكامل بين الخيال العلمي والأدبية للوصول إلى ما يحمله المتخيل الاستشراقي من أبعادٍ ورؤى ثقافية ضامرة فيه .

- محاولة فهم طبيعة الصراع النسقي في العالم الاستشراقي من خلال المضمّر الثقافي .

- محاولة الكشف عن عيوب الثقافة التي تقف وراء جماليات خطابات الخيال العلمي لدى المتلقّين .

إنّ الهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن تلك العلاقة الفلسفية في حقيقتها للنسق المضمّر المستتر وراء النسقية الظاهرة للنص الروائي في بنيته السطحية ، أو بمعنى آخر البحث عن كيفية تجلّي تلك البنى الفكرية والدينية والسياسية على مستوى التشكيل الروائي للمتخيّل العلمي في شخوصه ، وأحداثه ، ومشاهده السردية ، ليتسنى بعدها رفع إيديولوجيات الأنساق الظاهرة والضمنية والذي ما يكون إلّا بعلم النقد الثقافي وآلياته .

فانطلاقاً مما سبق ، تأسست الإشكالية التالية للبحث : كيف يمكن لرواية الخيال العلمي أن تحمل في طيات بنياتها السردية أبعاداً إيديولوجية للعالم الافتراضي المتخيّل ؟ وما هي الغاية التي تجعل من الروائي في المتخيل السردى أن يبني رؤية استشراقية للواقع انطلاقاً من مرجعياته الثقافية ؟

ومنها تطرح الإشكالية مجموعة من التساؤلات تتمثل في :

- كيف تجلّت الأنساق الثقافية في رواية (جلالتة الأب الأعظم) ؟

- ما هي أهم مظهرات الأنساق السياسية والدينية والاجتماعية التي أنتجتها المجتمعات في ضوء حيل الثقافة التي تمرّرها خُفية في المتخيّل العلمي ؟

- كيف تعرّض (حبيب مونسي) إلى جملة المضمرات الثقافية في رؤيته المستقبلية للعالم ولمصير البشرية ، وكيف تمكن من إيصالها للمتلقّي ضمن المتخيل العلمي ؟

- كيف أسهم النقد الثقافي من خلال أدواته الإجرائية إلى الكشف عن الأنساق التي وظفتها رواية الخيال العلمي باعتبارها استشرافا للعالم الافتراضي من مرجعية الكاتب الثقافية المتعالقة بواقعه ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها اقترحنا خطة تتألف من فصل تمهيدي كمدخل يعقبه فصلين تطبيين ، فأما الفصل التمهيدي عنوانه نظرة عامة حول مفهوم النقد الثقافي والنسق وأدب الخيال العلمي ، فقد تناولنا فيه بعض المصطلحات الأساسية ذات الصلة بهذه الدراسة مثل الثقافة ، والنقد الثقافي ، والنسق ، ثمّ كانت لنا إطلالة على مفهوم أدب الخيال العلمي بحكم علاقته المباشرة بمجال هذه الدراسة وتطبيقها على الرواية كونها الجزء الأكبر والنواة لهذا النوع من الأدب ، ولم نغادر حتى عرّجنا على تقديم لمحة مقتضبة حول الخيال العلمي في الخطاب الروائي الجزائري .

فأما الفصل الأوّل وعنوانه :الأنساق السياسية والدينية في رواية (جلالته الأب الأعظم) لـ (حبيب مونسي) ، فقد تناولنا فيه التّداعي النسقي للعنوان الفرعي للرواية (الخطر الآتي من المستقبل) ، والدلالات الثقافية المضمرة التي تحيل إليه تحت عنوان استشراف الحكومة الخفية في المتخيل السردى ، لنتطرق بعد ذلك إلى تقديم قراءة نسقية للمشاهد السردية ، وهو ما أفضى بنا إلى الحديث عن هويّة الماسونية كنسق ثقافي يتبناه كاتب الرواية ضمناً من منطلق فكرة التنبؤ والاستشراف لمصير البشرية في ظل التطور التكنولوجي وعلاقته بالنسق السياسي .

وفي عنصر آخر من هذا الفصل تغلغلنا نسقيًا في بعض مشاهد الرواية للبحث فيها عن المراجعات الدينية الإسلامية التي زجّ بها الكاتب ، بحيث عرضنا أبرزها تأثيرا وحضورا في المتخيل الاستشراقي الإسلامي، ومنها الأعرور الدجال /الخطر الآتي من المستقبل وموسى العرب مخلّص البشرية ، و كنقطة التقاء بين النسقين السياسي والديني تم الحديث عن قيام الدولة الإسلامية على أنقاض الدولة العالمية .

وفي الفصل الثاني الذي اخترنا له عنوانًا : النسق الاجتماعي والمرأة في رواية (جلالته الأب الأعظم) ، والذي عرضنا فيه الأنساق الاجتماعية المضمرّة التي تبناها (جلالته الأب الأعظم) في سياسة بناء دولته الموحدة وعلاقتها بالصراع النسقي المتجسّد في طبقة العرب أيضا في زاوية مهمة في الجانب الاجتماعي تم التطرّق إلى المرأة وما تحمله من أنساق ضمنية في صور مختلفة لها غير تلك التي ألفناها في السرديات العربية ، وفي هذا الجانب أيضا وضحنا مفهوم الفحولة وأشكالها الجديدة ضمن هذا المتخيل الاستشراقي .

وفي نهاية الدراسة وضعنا خاتمة نحسبها جامعة لهذا البحث حوصلنا فيها ما أمكن مما عرضناه فيه .

أمّا منهج الدّراسة المتّبع فيها فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي كبداية في تتبع مراحل نشأة وتطور الخيال العلمي في الأدب ، أيضا اعتمدنا فبه على مجموعة من الآراء والمقاربات الخاصة بالنقد الثقافي ، كما أنّه لزم علينا الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي قصد الوصول إلى مضمرات الخطاب في الأنساق الثقافية، والاستئناس بآليات المنهج السيميائي في تفسير الشيفرات المتضمّنة في المتن الروائي.

وفيما يخص أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث فعلى رأسها المصدر الأول لهذه الدّراسة والمتمثل في رواية (جلالته الأب الأعظم /الخطر الآتي من المستقبل) للكاتب (حبيب مونسي) .

مقدمة

وأما المراجع فأهمها كتاب (النقد الثقافي . قراءة في الأنساق الثقافية) للناقد السعودي (عبد الله الغدامي) وكتاب (الخيال العلمي) لـ (دفيد سيد) وذلك لصلتهما المباشرة بموضوع بحثنا ، كما استعنا في تفسير الظاهرة الثقافية في دولة (جلالتة الأب الأعظم) بعدة مراجع متنوعة حسب ما تقتضيه الظاهرة الثقافية دينية أو اجتماعية أو سياسية .

أيضا من الدراسات والمقالات التي سبقتنا في هذا المجال نذكر: منها أعمال الأستاذة (فوزية تقار) والمتمثلة في : أطروحة الدكتوراه بعنوان (الإيديولوجيا و البنى الفنية في أعمال "حبيب مونسي" - دراسة سوسيوثقافية -) و مقال بعنوان (رواية الخيال العلمي بين الواقع الأنتوغرافي والتمثيل الافتراضي رواية جلالتة الأب الأعظم لحبيب مونسي أنموذجا)

وأما فيما يخص الصعوبات التي اعترضت طريق هذا البحث ، فأبرزها فيما تعلق باستنباط الأنساق الثقافية كون الرواية في التمثيل الافتراضي ، ناهيك عن تعدد وتفرع الأبعاد الأيديولوجية التي تحملها ضمن أنساقها المضمرة .

وفي الأخير؛ فإنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس ، لذا وجب علينا أن نقدم أسمى آيات الشكر والعرفان للأستاذة المحترمة (فوزية تقار) ، التي كانت لنا نعم العون والسند في إنجاز هذا البحث بتوجيهاتها ومتابعتها للبحث ، ليخرج في أتم صورة ، فلها منا جميل الثناء وطيب الدعاء ، كما لا ننسى الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة لقبولها قراءة هذا البحث ومناقشته وتصويب أخطائه .

الوادي في : 2022/06/03

خديجة ، سارة ، سهام

مدخل

نظرة عامة حول مفهوم (النقد الثقافي ،النسق ،أدب الخيال العلمي)

أولاً : مفاهيم ومصطلحات النقد الثقافي .

1 - مفهوم النقد ثقافي

2 - مرتكزات النقد الثقافي

3 - ماهية الأنساق الثقافية

4 - أنواع الأنساق الثقافية

ثانياً : أدب الخيال العلمي

1 - مفهوم الخيال العلمي في الأعمال الأدبية

2 - الخيال العلمي في الخطاب الغربي والعربي

3 - الخصائص الفنية والموضوعية لرواية الخيال العلمي

4 - الخيال العلمي في الخطاب الروائي الجزائري

توطئة :

ظل النقد الأدبي يسيطر على ساحة الدراسات النقدية ردحا من الزمن حتى ظهر النقد الثقافي مزاحما له و معلنا إقالته من منصبه أو حتى موته كما ورد ذلك في أكثر من مرة على لسان رواده ، ولعلَّ إيجاد مفهوم محدّد للنقد الثقافي ليس بالأمر الهين كيف لا وهو مكون من مصطلحين إحداهما مسندا لكلمة ثقافة ، هذه الأخيرة التي أعييت مرديها والباحثين عن تعريف شاف وواف لها ، فما هو مفهوم النقد الثقافي ؟ وما هي المرتكزات و الأسس المنهجية التي اعتمد عليها في تحليله للنصوص والخطابات ؟

أولا: مفاهيم ومصطلحات النقد الثقافي:

1 - مفهوم النقد الثقافي :

يسعى النقد الثقافي إلى دراسة الأنساق المضمرة للنصوص الأدبية دون التركيز على أبعادها الجمالية فهو في أبسط تعريفاته " نقد إيديولوجي وفكري وعقائدي ، يهدف إلى توضيح العيوب النسقية التي توجد في السلوك والثقافة ، وكشف الخطابات المؤسساتية والتعرف على أساليبها في ترسيخ هيمنتها ، وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة¹."

وعلى الرغم من الإرهاصات العديدة التي مهدت لنشأة النقد الثقافي إلا أن " الظهور الحقيقي له لم يتحقّق إلا في ثمانينيات القرن الماضي بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1985 بعدما استعاد من البنيوية اللسانية و الأنثروبولوجيا و التفكيكية ونقد ما بعد الحداثة والحركة النسوية " ²، وكان ذلك بالتحديد مع الناقد الأمريكي (فنست ليتش) (Leitch.Vincent) الذي

¹ جميل حمداوي ، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان ، دار الريف للطباعة والنشر، تطوان ، المغرب ، ط5، 2015، ص: 8.

² نادية بوجلال ، عبد الله الغدامي من النقد الثقافي إلى النقد الأدبي ، مجلة دراسات ، الجزائر ، جامعة الجزائر 2 ، العدد الرابع ، جوان 2016 ، ص : 254.

وضع الأسس المنهجية له "واتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره"¹ وهو بذلك لم يجر تغيير في "مادة البحث فحسب وإنما تغيير في منهج التحليل حيث يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي"²، ومنه اهتمّ النقد الثقافي " بدراسة الأعمال الهامشية التي طالما أنكر النقد الأدبي قيمتها و أهميتها بحكم أنها لا تخضع لشروط الذوق النقدي"³.

لذا فقد أولى أهمية لكل النصوص والخطابات سواء كانت رسمية أو شعبية وسواء اتفقت مع أحكام النقد الأدبي وذائقته أو لم تتفق و يختلف النقد الثقافي مع "تيارات النقد الأدبي في العودة إلى تأويل النصوص دراسة الخلفية التاريخية ، وفي الوقت نفسه فإن بعض الأفكار التي تشبه المسلّمات بالنسبة للنقد المؤسساتي أصبحت موضع شك مثل فكرة المحاكاة ، و التخيل والرّمز وغيرها"⁴ ، ولا يختلف كثيرا الناقد الأمريكي (آرثر أيزابجر) (Aizabrgr) عن (ليتش) (Leitch) حين يؤكد أن " نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات على الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة"⁵.

وينفي (صلاح قنصوة) عنه صفة المنهج إذ يقول " وهو ليس منهاجا بين مناهج أخرى أو مذهباً أو نظرية ، كما أنه ليس فرعاً أو مجالا متخصصا بين فروع المعرفة ومجالاتها ، بل هو ممارسة أو فاعلية تتوفر على درس كل ما تنتجه الثقافة"⁶

¹ ينظر المرجع السابق ، ص :252.

² ينظر عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي . قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي دار البيضاء ، ط 3 ، 2005 ص:31،32.

³ إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التكيك، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، ط 4 ، 2011، ص: 139

⁴ المرجع نفسه، ص: 139.

⁵ آرثر أيزابجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ، تر: وفاء إبراهيم ورمان بسطاويسي ، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2003 ، ص : 30

⁶ صلاح قنصوة ، تمارين في النقد الثقافي ، دار ميريت ، القاهرة ، مصر ، ط1، 2002 ، ص :5

بينما يعتبره (الغذامي) - أحد أهم رواد النقد الثقافي في عالمنا العربي - فرعاً من فروع النقد النصوي العام حين يؤكد على أن الوظيفة الرئيسية للنقد الثقافي هي الكشف عن الأنساق الثقافية في تحديده له بكونه " فرع من فروع النقد النصوي العام ، ومن ثمّ فهو أحد علوم اللغة و حقول الألسنية،معني بنقد الأنساق المضمرّة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته ، وأنماطه،وصيغته و ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء.¹

وبناءً على ما سبق ذكره نستنتج أن النقد الثقافي هو فرع من فروع النقد النصوي العام جاء نتيجة إرهابات الحداثة وما بعد الحداثة ، يهتم بدراسة الأنساق الثقافية المضمرّة في الخطابات ، ملغياً من حساباته البحث عن الأسس الجمالية أو البلاغية للنقد التقليدي والمؤسساتي .

2 - مرتكزات النقد الثقافي :

يرتكز النقد الثقافي على عدّة أسس ومفاهيم ، تُعدّ معينا للباحث في مقاربتة للنصوص والخطابات ، وتتمثل هذه المفاهيم والمرتكزات في العناصر الآتية :

1-2 عناصر الرّسالة (الوظيفة النسقية) :

يربط الغذامي بين النقد الثقافي والوظيفة النسقية وهو بذلك قد تجاوز الوظائف الست التي حدّدها (رومان جاكبسون) وعناصرها وهي " الوظيفة الجمالية للرسالة ، والوظيفة الانفعالية للمرسل ، والوظيفة التأثيرية للمتلقى ، والوظيفة المرجعية للمرجع ، والوظيفة الحفاظية للقناة والوظيفة الوصفية للغة"² ، ليضيف الوظيفة السابعة وهي الوظيفة النسقية وهي الوظيفة التي تهتم بما تضمه الثقافة دون وعي مؤلفها داخل الخطابات و"تأتي عبر العنصر النسقي، وهذا

¹ عبد الله الغذامي، النقد الثقافي. قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص: 83، 84.

² جميل حمداوي ، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان ، ص: 28 .

يمثل مبدءا أساسيا من مبادئ النقد الثقافي¹ وقد مثل " منطلقا للتحوّل النظري والإجرائي من النقد الأدبي إلى النقد ببعده الثقافي"².

2-2 المجاز الكلي :

من أسس نظرية النقد الثقافي ما يعرف بالمجاز الكلي ، فهو أداة بارزة من أدواته ، حيث " يحضر في النقد الثقافي كأداة تشغيل ضمن أفق نظري لقراءة الخطاب الثقافي، يؤدي المجاز فيه ، دورا مركزيا في صياغته"³ و" يمثل قناعا تتنوع به اللغة لتمرر أنساقها الثقافية دون وعي منا حتى لنصاب بما يسمى العمى الثقافي ، وفي اللغة مجازاتها الكبرى والكلية التي تتطلب منا عملا مختلفا لكي نكشفها ولا تكفي الأدوات القديمة لكشف ذلك"⁴. فالمقصود بالمجاز هنا ليس المجاز كمبحث من مباحث البلاغة وإنما المجاز الثقافي وما تخبئه اللغة من مضمرات ثقافية .

2-3 التورية الثقافية :

التورية الثقافية "مصطلح جديد آخر تتحرر دلالاته عن مقولتي القرب والبعد لتتصلب دلالات أعم وأشمل لتطلع لنا المضمّر في التنسيق وتستدعي وعيا للغة بمعنى ما"⁵، ويقصد بالتورية في المعنى المعهود "وجود معنيين أحدهما قريب والآخر بعيد والمقصود هو البعيد وكشفه هو لعبة بلاغية منضبطة"⁶. أما التورية الثقافية فيتوسع مجالها وفي هذا يقول (الغذامي): "ونحن هنا

¹ عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي. قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص :65.

² المرجع نفسه ، ص :65.

³ حسين السماهيجي وآخرون ، عبد الله الغذامي والممارسات النقدية والثقافية ، مطبعة سيكو ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2003، ص215.

⁴ عبد الله الغذامي و عبد النبي اصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ،دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1، 2004، ص29.

⁵ حسين السماهيجي وآخرون ، عبد الله الغذامي والممارسات النقدية ، ص :144

⁶ عبد الله الغذامي و عبد النبي اصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ، ص :29.

نوسع من مجال التورية لا لتكون بهذا المعنى البلاغي المحدد ولكننا نقول بالتورية الثقافية أي أن الخطاب يحمل نسقين لمعنيين وأحد هذين النسقين واع والآخر مضمّر¹.

2-4 الدلالة النسقية (نوع الدلالة):

لقد اقترح (الغذامي) مفهوم الدلالة النسقية انطلاقاً من العنصر السابع الذي أضافه للمخطط الاتصالي أي العنصر النسقي؛ وهو بذلك ميز بين ثلاثة أنواع من الدلالات:

- الدلالة الصريحة " التي هي الدلالة المعهودة في التداول اللغوي".
- الدلالة الضمنية " ترتبط بالوظيفة الجمالية للغة ، كما أنها تعلي من القيمة الفنية للنصوص".
- الدلالة النسقية و"هي قيمة مخبوءة في المضمّر النصّي في الخطاب اللغوي"².

وتتواجد الدلالات النسقية "في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكوّن عنصراً ثقافياً أخذ بالتشكل التدريجي إلى أن أصبح عنصراً فاعلاً، لكنه بسبب نشوئه التدريجي تمكن من التغلغل غير الملحوظ وظلّ كامناً هناك في أعماق الخطابات ، وظل يتنقل ما بين اللغة و الذهن البشري³؛ ويرجع السبب في ذلك إلى اهتمام النقد الأدبي بالبحث في جماليات النصوص دون الاهتمام بتلك الأنساق التي تنغرس في الذهن و اللاوعي الثقافي الجمعي* وفي هذا الصدد يؤكد أن النسق ظلّ " فاعلاً أفعاله من دون رقيب نقدي لانشغال النقدي بالجمالي أولاً ثم لقدرة العناصر النسقية على الكمون والاختفاء"⁴؛ بمعنى أن الدلالة النسقية

¹ المرجع السابق، ص : 29.

² عبد الله غذامي وعبد النبي اصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص : 29 .

³ عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي. قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص : 72.

⁴ المرجع نفسه، ص : 72 .

*- اللاوعي الثقافي الجمعي: هو مخزون إيديولوجي مركب في عقل الإنسان يسيطر بقوة على عقل الإنسان ويقود سلوكه في مجالات الحياة المختلفة. (نزار جبريل السعودي ، تفاعل النقد الثقافي مع المناهج النقدية والمعارف المتعددة: قراءة لأهم المفاهيم الرئيسية، مجلة جامع الشارقة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة زايد ، الإمارات العربية المتحدة العدد2، ديسمبر 2017، ص220).

أكثر تغلغلا في اللاوعي الثقافي الجمعي ، وهنا لابد للناقد الثقافي أن يتحسس جيدا في محاولته للبحث عن هذه الدلالات النسقية الكامنة وكشفها.

2 - 5 الجملة الثقافية :

في مقاربتة لأسس المنهج الثقافي أكد (الغذامي) على وجود ثلاثة أنواع من الجمل وهي: الجملة النحوية المرتبطة بالدلالة الصريحة والجملة الأدبية ذات القيم البلاغية والجمالية والجملة الثقافية ويقول في ذلك " إذا كانت الدلالة الصريحة تستند إلى الجملة النحوية والدلالة الضمنية تنشأ عن الجملة الأدبية فلا بد لنا من تصور خاص يسمح للدلالة النسقية بأن تتولد وهو هنا ما نسميه بالجملة الثقافية"¹، وهذه الأخيرة هي "حصيلة الناتج الدلالي للمعطى النسقي وكشفها يأتي عبر العنصر النسقي في الرسالة ثم عبر تصور مقولة الدلالة النسقية وهذه الدلالة سوف تتجلى وتتمثل عبر الجملة الثقافية"² ، ولا يرتبط عدد الجمل الثقافية بالجملة النحوية لأنه ؛-أي الجملة الثقافية -"ليست عددا كليا إذ قد نجد جملة ثقافية واحدة في مقابل ألف جملة نحوية، أي أن الجملة الثقافية هي دلالة اكتنازيه وتعبير مكثف"³ .

ونستنتج من ذلك أنه باستقراء الجملة الثقافية يمكننا استكشاف الدلالات النسقية الكامنة في الخطابات والنصوص .

2 - 6 المؤلف المزدوج :

لا يختلف اثنان على أن كاتب النص أو العمل الأدبي هو صاحبه ومؤلفه، لكن النقد الثقافي له رأي آخر فوراء كل عمل أدبي هناك مؤلف مضمّر وخفي يشارك في إنتاج النصوص والخطابات ، " لذا فيمكننا في إطار المقاربة الثقافية الحديث عن ما يسمّى بالمؤلف المزدوج أي الكاتب الجمالي والأدبي الذي ينتج أنساقا أدبية وجمالية فنية ظاهرة و مباشرة ، و ذلك عن

¹ عبد الله غذامي ، النقد الثقافي. قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص: 74.

² عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف ، نقد أدبي أم نقد ثقافي ، ص: 27،28 .

³ المرجع نفسه ، ص : 27، 28.

طريق الرمزية و الإيحائية، و هناك في المقابل المبدع الثقافي¹ بمعنى أن " الثقافة ذاتها تعمل عمل مؤلف آخر يصاحب المؤلف المعلن وتشارك الثقافة بغرس أنساقها من تحت نظر المؤلف"²، لأنه أي - المؤلف المعهود- هو " ناتج ثقافي مصبوغ بصبغة الثقافة أولاً ثم إن خطابه يقول من داخله أشياء ليست في وعيه ولا هي في وعي الرعية الثقافية " ³، وهذه الأشياء المضمرة تتعارض مع ما يقوله المؤلف وتكون دلالات تتناقض مع مضمرات الخطاب سواء ما يقصده المؤلف أو ما هو متروك لاستنتاجات القارئ.⁴

2-7 النسق :

يشكل مفهوم النسق المضمرة محورا بارزا من محاور النقد الثقافي فهو " نسق مركزي في إطار المقاربة الثقافية باعتبار أن كل ثقافة معينة تحمل في طياتها أنساقا مهيمنة، فالنسق الجمالي والبلاغي في الأدب يخفي أنساقا ثقافية مضمرة و بتعبير آخر أن في الخطاب الأدبي و الشعري تحديدا قيما نسقية مضمرة تتسبب في التأسيس لنسق ثقافي مهيمن⁵ وتتمكن من فرض هيمنتها "عبر التخفي وراء أقنعة سميكة، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها قناع الجمالية أي إن الخطاب البلاغي الجمالي، يخبئ من تحته شيئا آخر غير الجمالية وليست الجمالية إلا أداة تسويق وتميرير لهذا المخبوء وتحت كل ما هو جمالي هناك شيء نسقي مضمرة"⁶.

ولقد حدّد (الغدّامي) أربعة شروط يجب توافرها لتكون أمام حالة من حالات الوظيفة

النسقية ، وهي :

- 1 جميل حمداوي ، النقد الثقافي بن المطرقة والسندان ،ص : 33
- 2 عبد الله الغدّامي وعبد النبي اصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ، ص : 33.
- 3 عبد الله الغدّامي ،النقد الثقافي . قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص : 75 ، 76.
- 4 المرجع نفسه ، ص : 76.
- 5 جميل حمداوي ، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان ، ص : 31 .
- 6 عبد الله الغدّامي وعبد النبي اصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ، ص : 32.

- أنها لا تحدث إلا عندما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمّر .

- أن يكون المضمّر ناقضا وناسخا للظاهر وهذا لا يكون إلا في نص واحد أو في حكم النص الواحد.

- يشترط في النص أن يكون جماليا لكي تمرر الثقافة من خلاله أنساقها.

- أن يكون النص جماهيريا، ويحظى بمقروئية عريضة ذلك أن للأنساق "فعلا عموميا ضاربا في الذهن الاجتماعي والثقافي"¹.

وعليه فإنّ النّقد الثقافي هو نقد لأنساقٍ مضمرة كانت أم ظاهرة ؛ فهو يتجه بالدرجة الأساس نحو ما تحويه نصوص الثقافة على التّنوع في الأنساق ، إذ يشكل مفهوم النسق محورا مركزيا، وهذا ما يجعلنا وجها لوجه أمام تساؤل جوهري عن مفهوم ذلك النسق وماهيته وطبيعته وأنواعه ، وهذه الأمور الملحّة هي ما نزعّم أن تمتد أذرع هذه التعريفات إليها .

3- ماهية الأنساق الثقافية :

يعتبر البحث عن الأنساق الثقافية الظاهرة والمضمرة من مستثمرات النقد الثقافي في البحث عن الأفكار والأطروحات المغايرة في فهم النص الأدبي، باعتباره نصا ثقافيا في بعده الواسع ، لهذا كان النسق الثقافي مركزية عمل النقد الثقافي ، وعليه سنتطرق إلى ماهية النسق الثقافي وتعريفه ، مع تحديد أنواعه .

3 - 1 مفهوم النسق :

لقد شغل هذا المصطلح (النسق) حيزا عريضا من الاهتمام في الساحة الأدبية منها والنقدية كما شهد هذا المفهوم شيوعا واسعا خاصة في السنوات الأخيرة .

¹ حسين السماهيجي وآخرون ، عبد الله الغدامي والممارسات النقدية ، ص :94.

فالنسق كما تنظر إليه المعاجم والمؤلفات المتخصصة في اللسانيات "نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يشكل كلا موحدًا، وتقترن كليته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها وكان (دي سوسير) (F. De saussure) يعني بالنسق شيئًا قريبًا من مفهوم (البنية) ¹. فالنسق على وفق هذه الرؤية هو ما يحكم العلاقة بين العناصر اللسانية ومستوياتها، ويربط بعضها ببعض، وإن أي اختلاف في هذه العلاقة بين العناصر تفقد النسق توازنه، وتغير معالمه.

فلقد كان (دي سوسير) أكبر اللسانيين شغفا بالنسق وبحثًا عن تحديده، فقد تردد هذا المصطلح كثيرًا في محاضراته، وهو موطن الجدة في نظريته، بل يكاد يمثل المحور الجوهرية فيها، فاللغة في تصوره نسق لا يعرف إلا طبيعة نظامه الخاص، وهي ليست سوى نسق سيميائي يقوم على اعتبارية العلامات، ولا قيمة للأجزاء إلا ضمن الكل، وقد جرى (دي سوسير) كثيرًا من البنيويين في هذا الشغف بالنسق حتى أطلق "فوكو" على جيله اسم (جيل النسق) ².

والنسق عند (فوكو) (Foukou) نفسه ما هو إلا "علاقات تستمر وتتحول بمعزل عن الأشياء التي تربط بينها" ³ ويقصد؛ أن النسق إنما هو محض علاقات تتشكل في منأى عن المواضيع التي تنتمي إليها، إلا أنها تستمر وتنتقل حسب السياقات و الظروف دون أن تبرح ذاكرة المتلقي ⁴.

¹ إديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993، ص: 415.

² ينظر، عبد الله حبيب التميمي، سحر كاظم حمزة، الشجيري، دونية المرأة في المجتمع الجاهلي و فوقيتها في الخطاب الشعري، مجلة بابل، العلوم الإنسانية، العراق، المجلد 22، العدد 2، 2014، ص: 315.

³ سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص: 211.

⁴ السعيد قبنة، الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة (سفر القضاة ل: أحمد زغب أنموذجًا)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة غرداية، 2021/2020، ص: 19.

ويذهب (تالكوت بارسونز) (T.Parsons) - ذو الخلفية الاجتماعية - في تعريفه للنسق بأنه " نظام ينطوي على أفراد مفتعلين ، تتحدد علاقتهم بعواطفهم ، وأدوارهم التي تتبع من الرموز المشتركة ، والمقررة ثقافيا في إطار النسق ، وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي " ¹ ؛ فالنسق نظام يتألف من عدة أفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض ، فتتحدد أدوارهم ووظائفهم من خلاله ، فهو يتكون من العلاقات المتداخلة للقيم والمعتقدات والرموز المشتركة التي توجد في أي مجتمع .

ويعرفه الناقد المغربي بوشعيب الساوري أنه "عبارة عن مجموعة من العناصر منظمة تنظيما محكما ومترابطة، والتي تشكل عمل وسلوك هذا الكل النسقي، كما أن الكل نسق مشكل من عناصر وأجزاء تنتظم فيما بينها. ويتضمن هذا العمل سلسلة من القواعد والمعايير والشفرات والخطوات التي تكون بمثابة نماذج عمله انطلاقا من علاقات تداخل بين العناصر " ²؛ أي أن النسق مكون من عناصر، حيث يكون الترابط والتنظيم الذي يجمعها سببا في تشكيل القواعد والمعايير التي تتحكم في سيرورة هذا الكل النسقي . ويعرف نفس الناقد النسق في موضع آخر، أنه " ذلك المنظور الثقافي ، الذي تنظم فيه الخبرات الذاتية الفردية لجماعة معينة في عصر من العصور " ³.

ونجد الناقد (عبد الله الغدامي) يعطي للنسق مفهوما مركزيا في مشروعه النقد الثقافي من خلال وظيفته ومكانته في الخطاب فيقول " يتحدد النسق عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد (...) ، والنسق هنا من حيث هو دلالة مضمرة فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف ولكنها منكتبة ومنغرس في الخطاب، مؤلفتها الثقافة ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب

¹ إديث كريزويل ، عصر البنيوية ، ص : 411.

² بوشعيب الساوري، الرحلة والنسق - دراسة في إنتاج النص الرحلي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2007، ص: 76،77.

³ المرجع نفسه ، ص : 19.

وقرأء¹؛ فالنسق مفهوم تفرزه الثقافة وتبينه عبر خطابها المتعدد ، فينغرس في وجدان الفرد نسقا مضمرا خفيا يتحكم بكثير من مظاهر سلوكه ويوجهها .

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن النسق عبارة عن بنية متكاملة مكونة من عناصر تتحد وتتفاعل فيما بينها لتحقيق هدفا يؤدي هذا الأخير إلى قيام الثقافة في مجتمع ما . وهذه العناصر التي يكتسبها الإنسان لها خصائصها وأنظمتها وقوانينها التي تتحكم بها، وكذا درجتها ومرتبها ضمن أنساق عامة ألا وهي (أنساق ثقافية).

3 - 2 تعريف النسق الثقافي :

يمثل النسق الثقافي إحدى أهم الركائز التي يقوم عليها مشروع النقد الثقافي، وهو تركيب لمفهومي النسق والثقافة .

فمصطلح النسق الثقافي ذو شقين الأول منه (النسق) - كما سبق وذكرنا - هو نظام والتنظيم الذي يربط مجموعة من العناصر يهبها الأهمية عبر توحيدها لتشكيل عنصرا واحدا متميزا. أما الشق الثاني (الثقافة) فهي: " ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة ، والمعتقدات والفنون، والأخلاقيات، والقوانين، والآراء والقدرات الأخرى، وعادات الإنسان المكتسبة بوصفه عضوا في المجتمع"².

ويتمخض عن هذين الشقين تركيب (النسق الثقافي) وهو من الظواهر الأدبية التي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد .

حاول الأنثروبولوجي الأمريكي (كليفورد غيرتس) (Clifford Geertz) أن يستخدم مصطلح النسق الثقافي فقد " وجه بحثه نحو النظر إلى الأنظمة الاجتماعية الحاكمة للأفراد

³ عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ط3 ، 2005 ، ص : 77، 79.

² زيودين ساردار، بورين فان لون، الدراسات الثقافية، تر: وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (د، ط)، 2003 ص : 8.

والجماعات ، بوصفها أنساقا ثقافية كالدين و الأيديولوجيا ، فمفهوم النسق الثقافي عنده يتجاوز مفهوم البناء الاجتماعي إذ عدّ الثقافة مجموعة من الأنظمة المحسوسة وسلوكيات الإنسان والتقاليد الاجتماعية¹؛ ف(غيرتس) يعتقد أن الأنظمة الاجتماعية التي يخضع لها الإنسان هي ما يمكن أن يطلق عليها أنساقا .

كما يعتبر (يوري لوتمان)(Y.Lotman) أيضا من النقاد الأوائل الذين قاموا بمقاربة مصطلح النسق ثقافيا، حيث أصبح النسق الثقافي عنده " دالا على تاريخ الثقافة والأدب والفكر الاجتماعي بصورة عامة"² ؛ فالأنساق هي التي تحدد الخصائص الكلية للثقافة الإنسانية في أي مجتمع كان، من خلال تتبع تطورها، وتحولاتها عبر العصور .

كما يعدُّ الناقد (عبد الفتاح كيليطو) من بين النقاد الذين اهتموا بالأنساق الثقافية، حيث يعرفها في كتابه " المقامات - السرد والأنساق الثقافية" بأنه "مُوضَعَةٌ(اجتماعية، دينية ، أخلاقية استثنائية...)" تفرضها، في لحظة معينة من تطورها، الوضعية الاجتماعية، والتي يقبلها ضمنا المؤلف وجمهوره³؛ فبما أن الأنساق الثقافية تكون نتيجة اتفاق بين مؤلف النص وجمهوره من خلال التواضع عليها وذلك عبر عصور ، فهي إذا تلقى قبولا من الطرفين ، سواء كان هذا القبول ظاهرا أو ضمنيا .

ونجد تعريفا آخر للباحثة (ضياء الكعبي) لا يبتعد كثيرا عن مفهوم (كيليطو) حيث ترى أن الأنساق الثقافية هي نظم بعضها كامن وبعضها ظاهر في أي ثقافة من الثقافات، ويتفاعل

¹ سعد علي جعفر المرعب ، النسق الأثنوي في ديوان علية بنت المهدي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العراق ، م8، ع4 ، 31ديسمبر 2018 ، ص : 54 .

² ضياء الكعبي ، السرد العربي القديم - الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان ، ط1، 2005 ، ص : 22.

³ عبد الفتاح كيليطو ، المقامات - السرد والأنساق الثقافية ، تر: عبد الكريم الشراوي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء، المغرب ، ط2، 2001 ، ص : 8،9.

في هذه النظم العرق، والدين، والأعراف الاجتماعية، والقيود السياسية، والتقاليد الأدبية، والطبقة وعلاقات السلطة التي تحدد المواقع الفاعلة للذوات. وهذه النظم ذات صلة وثيقة بإنتاج الخطاب الإبداعي والفكري وطرائق تلقيه. فالأنساق الثقافية بذلك لا تقتصر على الأدب الرسمي في ثقافة ما وإنما تتعداه إلى الأدب الهامشي¹.

فمن خلال تعريفها وسعت الباحثة مفهوم الأنساق الثقافية لتجعل منها نظاما عاما شاملا تتفاعل فيه العادات والتقاليد والأعراف وهي تؤثر على طرائق إنتاج الخطابات وتلقيها.

أما الناقد (عبد الله الغدامي) فيعرف الأنساق الثقافية بقوله: " هي أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وقد يكون ذلك في الأغاني أو في الأزياء (...). كل هذه حيل بلاغية جمالية تعتمد المجاز والتورية وينطوي تحتها نسق ثقافي ثاو في المضمهر ونحن نستقبله لتوافقه السري وتواطئه مع نسق قديم منغرس فينا"².

(فالغدامي) ينظر إلى النسق الثقافي من حيث كونه قوة موجّهة للنص تختبئ تحت غطاء الجمالية؛ أي أنها قوة مفروضة على النصوص. فالنصوص أداة من أدواتها مثلما أن الأزياء و الأغاني وغيرها، أدوات يستطيع للنسق الثقافي التسلل إليها والنفاذ بعد ذلك منها و بها إلى المتلقي، فالنسق هو الذي يفرض نفسه على الخطابات³.

ولعل من أبرز التعريفات التي ناقشت مفهوم النسق الثقافي، وأوضحها وأدقها إلى حد ما هو ما جاء في كتاب " ثقافة النص - قراءة في السرد اليمني - " (لسماح عبد الله الفران) حيث

¹ ينظر، ضياء الكعبي، السرد العربي القديم - الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ص: 22،23.

² عبد الله الغدامي، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص: 79،80.

³ ينظر، أحمد موسى ناصر المسعودي، الأنساق الثقافية في تشكيل صورة المرأة في الرواية النسائية السعودية، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص: 31.

تقول أنه "تركيبية اجتماعية منغرسية في أعماق الخطاب ، تعبر عن الصورة الاجتماعية والثقافية لمجتمع ما، يصعب اكتشافها بالقراءة السطحية كونها تختبئ خلف السطور، والنسق الثقافي هو عنوان المجتمع وهويته"¹؛ فهو عبارة عن نظام يختزن الرموز والعادات والتقاليد والفنون والأخلاق ، ويشتغل على أنظمة الخطاب الظاهرة والمضمرة ، ويدرس مواضيع الطابو وعلاقة الأنا بالغير والهويات المهمشة، للكشف عن الأنساق الثقافية الكامنة والمتخفية .

إذن فالنسق الثقافي هو وليد الثقافة في أي مجتمع من المجتمعات ، فيتحقق النسق من خلال وجود نظام ثابت ينغرس في وجدان المجتمع ، وهنا يمتلك القدرة على التحكم في ردود الأفعال ومن ثم يفرض سيطرته وهيمنته على الأفراد .

4- أنواع الأنساق الثقافية :

النسق في مفهومه اللغوي ؛ نظام الأشياء وتتابعها وتلاؤمها في نظام واحد .كذلك المفهوم النقدي الذي لا يبرح أن يكون نظام يحكم مجموعة من العناصر ويجعلها بنية واحدة وكلا متكاملًا " فالنسق عموماً هو انتظام بنيوي يتناغم وينسجم فيما بينه ليولد نسقاً أعم وأشمل وعلى سبيل المثال يوصف المجتمع بأنه نسق اجتماعي عام ينتج عنه مجموعة أنساق فرعية انتظمت معه، وشكلته، فتولد عنه نسق سياسي، وآخر اقتصادي، وعلمي وثقافي، تنسج علاقتها فيما بينها في مسافات متفاعلة، ومتداخلة"²

فالنقد الثقافي يتناول النص بشكل أعمق من مجرد الأدبية -الجمالية- بل يتجاوز ذلك إلى معرفة المعاني الخفية التي يحملها النص . ومن هنا يظهر لنا نسقان بارزان هما :

¹ سماح عبد الله الفران ، ثقافة النص - قراءة في السرد اليميني المعاصر، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2016 ، ص :17.

² محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، (د.ط) ، 1996 ، ص: 156، 157.

1-4 النسق الظاهر:

إن النقد الثقافي يهدف إلى تذوق النص بوصفه علامة ثقافية لا مجرد قيمة بلاغية وجمالية، فالقراءة الثقافية هي آلية تعمل على قراءة النصوص الأدبية وفق المعطيات الثقافية والتاريخية السائدة في المجتمع، وهذا ما ذهب إليه (ستيفن غرينبلات) (Stephen Greenblatt) حيث يقول: "إذا أردنا قراءة نص ما؛ علينا أولاً وأخيراً أن نستعيد القيم الثقافية التي امتصها النص الأدبي، وبهذه الطريقة أعلن (ستيفن غرينبلات) فاعليه الثقافة حيث تتحول على إثرها الخطابات إلى حوادث نسقية"¹.

وعليه فإن مهمة القارئ في تحليله الثقافي للنصوص الأدبية هي استجواب هذه النصوص من خلال ما تكتنزه من أنساق، ومنه يمكن أن نميز أن للنسق الثقافي "تمظهران في النصوص الثقافية هما النسق الظاهر المعلن والآخر النسق المضمّر الخفي وهذان النسقان متلازمان داخل النصوص الثقافية. لا يكاد أحدهما يفارق الآخر؛ بل يتعارضان ويتناقضان ويتجادلان داخل النص الثقافي، والوظيفة النسقية لا تحدث داخل النص الثقافي إلا عندما يتعارض نسقان من أنساق الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمّر، ويكون المضمّر ناقضاً وناسخاً للظاهر"².

وتأسيساً على ما سبق يمكن القول؛ أن النسق الظاهر لم يكن مدار الاهتمام في النقد الثقافي، إلا بقدر ما يعدّ وسيلة للكشف عن المضمّر الكامن المخالف للظاهر.

فما هو النسق المضمّر؟ وما مدى أهميته بالنسبة للنقد الثقافي؟

¹ يوسف عليمات، النسق الثقافي -قراءة في أنساق الشعر العربي القديم-، عالم الكتاب الحديث، عمان، ط1، 2009

² عبد الله الغدامي، النقد الثقافي. قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص: 76.

4-2 النسق المضمّر:

يُعدُّ النسق المضمّر من الركائز الأساسية التي يعوّل عليها النقد الثقافي، ومصطلح (المضمّر) كما تشير المعاجم اللغوية ترتبط دلالاته اللغوية بالإضمار والإخفاء. وبالجمع بين المصطلحين: النسق الذي سبق لنا وأن تطرقنا لشرحه والمضمّر، يتحدد لنا مفهوم النسق المضمّر - كما أشار إليه الغدامي في هذا السياق - على أنه: " أفنعة تخفي من تحتها الأنساق وتتوسّل بها لعمل عملها الترويضى"¹.

كما نجد أيضا مفهوما آخر للنسق المضمّر يكاد يقترب من هذا المفهوم، بأنه " كل دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ما هو جمالي في الثقافة"².

لقد اُتسم النسق المضمّر بخاصتي الاختباء والتخفي. ذلك أن الظاهر يعلو النص بينما المضمّر يتوارى ويتراجع ليقبع في باطن النص، وبما أنّ مدار الاهتمام في النقد الثقافي هو النسق المضمّر فقد عُني به عناية بالغة " فالنسق الثقافي خطر، وتكمن خطورته في كونه كامنا. حيث يمارس تأثيره دون رقيب، وهو يتوسل بالعمى الثقافي لضمان ديمومته وفاعليته"³.

وهذا النوع - أي النسق المضمّر - لا يتعمّد المؤلف صناعته مهما بلغ من مهارة أو وعي، لذلك تجده يتقن الاختباء متوسلا في ذلك عبارات مختلفة غالبا ما تكون جمالية، وبذلك فإن " النسق هنا من حيث هو دلالة مضمرة فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف، ولكنها

¹ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي. قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص: 7.

² عبد الله الغدامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص: 33.

³ عبد الله إبراهيم، المطابقة والاختلاف - بحث في نقد المركزية الثقافية -، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان

منكبته ومنغرسه في الخطاب، ومؤلفتها الثقافية ومستهلكوها جماهير اللغة من كتّاب وقراء . يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير، والنساء مع الرجال والمهمش مع المسود¹.

فالنسق المضمّر يحتل مكانة أساسية في الممارسات النقدية ؛ من خلال تغلغه في أعماق الخطابات مستخدماً في ذلك أقنعة للتخفي من أهمها " قناع الجمالية اللغوية ، وعبر البلاغة وجمالياتها تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت هذه المظلة الوارفة، وتعبّر العقول والأزمنة فاعلة ومؤثرة"²

ومجمل القول ؛ أن الأنساق لها لقدرة على التخفي والتواري، فهي ترسبات مضمرة تكدست في عمق الخطاب الأدبي . فالنقد الثقافي هو نقد يبحث عن الأنساق الثقافية الحاضرة في النص والمضمرة فيه للكشف عن مواطن الإبداع ، والجماليات المخفية .

¹ عبدالله الغدامي،النقد الثقافي . قراءة في الأنساق الثقافية العربية،ص: 79

² المرجع نفسه ،ص: 79

ثانيا : أدب الخيال العلمي:

توطئة:

في ظل خضم التطورات العلمية الحاصلة وعلاقتها الوطيدة بالإنسان، الذي هو البداية الأولى لهذا التغيّر الحاصل في جميع الميادين؛ أكانت هذه الميادين اجتماعية ، نفسية ، علمية ، تاريخية ، سياسية وحتى الأدبية منها، هذه الأخيرة التي برز في أحضانها و من جزاء هذا التطور جنس أدبي يجيب عن جميع المتطلبات المعاصرة والمستقبلية، ويعالج قضايا في ظاهرها هي مشكلة الواقع المعيش عند الجميع ولكن لها أبعاد وآفاق في مضمورها خُطِّطَ للوصول لها مسبقا . فكان هذا الأدب الجديد من سماته الأساس هو الاستشراف والتنبؤ بمستقبل الواقع الحالي وتصور حياة أخرى لها كيانها الاجتماعي والسياسي والديني ، مسترشدا في تصوره بالخيال المرافق للتغييرات العلمية ، هذا الخيال الذي سنح للقارئ والكاتب والناقد فرصة التحليق والسفر على جناح الحاضر إلى عالم المستقبل باستحضار الماضي ، لتأسيس حضارات وعوالم يمكن أن تكون على أرض الواقع في الزمن القريب أو البعيد، هذا النوع الجديد للأدب تَمَازج بالخيال والعلم ليكون أدب الخيال العلمي .

من هذا المنطلق جدير بنا أن نطرح السؤال الآتي كيف تناول الأدب الخيال العلمي في بناء العمل الأدبي وبروز أجناس أدبية خالصة بهذا النوع من الخيال كرواية الخيال العلمي ؟ وما هي المميزات والمواضيع التي تبناها هذا الأدب لمعالجة قضايا الإنسان الإيديولوجية في تقديم خيالٍ علمي؟ عديدة الأسئلة حول هذا الأدب لكن سنحاول أن نرفع الغموض عنه ونقترب منه بتقديم مقتطف مفاهيمي للخيال العلمي وعلاقته بالأعمال الأدبية ، مع تقديم لمحة لهذا الأدب في البيئتين العربية والغربية ، ورصد أهم الخصائص والموضوعات التي ارتكز عليها هذا الأدب في عرض مظاهر الصراع القائم في المجتمعات ، مع الوقوف عند هذا الأدب في الخطاب الروائي الجزائري .

1- مفهوم الخيال العلمي في الأعمال الأدبية :

الخيال العلمي أو ما يعرف بالخيال الافتراضي هما قراءتان ممكنتان للبادئة المختصرة "SF" التي ترمز كلاسيكيا إلى (science – fiction) وتقرأ حديثا (spéculatives fiction) خيال علمي هذا الجنس الجديد من الخيال الذي التصق بالعمل الأدبي نتيجة تلك التطورات العلمية التي رافقت الحياة في جميع المناحي،" فهو نوع من الإبداع يشمل غالبا على التأمل والذي يحتوي على الأعمال التي تندمج بين العناصر الخيالية الموجودة في الواقع المعاصر، والتي تتضمن أيضا الرعب وما يرتبط بينهما، فالعناصر المتخيلة في الخيال العلمي تكون ممكنة فقط في سياق قوانين الطبيعة المفترضة علميا، أو التي تقوم على أساس العلم¹، فالخيال العلمي هو تصورات ونظريات وفرضيات علمية فيزيائية وبيولوجية وفلكية وفضائية تعتمد على القواعد العلمية. لهذا فهو مصطلح صعب التعريف نجد له عدّة توجهات مختلفة " فنرى الباحث (هوجوير سباك) يعتبره مزيجا من الرومانسية والعلم والتنبؤ، أما (روبيرت هاينلاين) يعتبره تخمينا واقعا لأحداث مستقبلية في حين (داركوسوفين) يعتبره نوعا أدبيا يعتمد على بديل متخيل لبيئة القارئ، أما البعض الآخر نظر له على أنه نوع من الأدب القصصي العجائبي وسُمّي أيضا أدبا تاريخيا².

فهذه التوجهات التعريفية والفلسفية حول الخيال العلمي لم تحصره في مجال معين بل وظفته في أعمال و ميادين مختلفة كالأدب من خلال الروايات والقصص، والأفلام ، فلو تحدثنا عنه في مجال الإبداع الأدبي نجد العديد من المؤلفات تتناول موضوعات السفر والفضاء والمستقبل ومواضيع عدّة مرتبطة بمسار العلم وتطوره أدرجها النقاد تحت جناح (أدب الخيال العلمي). هذا الأدب الذي احتل مكانا واسعا ، وأصبح من الضروري الاطلاع عليه من منظور كاتب المستقبلات الأمريكي (ألين توفلر) في كتابه (صدمة المستقبل): "قراءة

¹ سعاد العبد ، قصص الخيال العلمي ، كمدخل للتدريس ، مجلة التربية ، العدد 4، د.ب ، د.س ، ص 47 .

² دفيد سيد ، الخيال العلمي ، تر نيفين عبد الرؤوف ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2016 ، ص 8 .

الخيال العلمي أمر لازم للمستقبل¹ ، وفي نفس الأهمية يقول كاتب الخيال العلمي البريطاني(آرثر سي كلارك) صاحب فكرة أقمار الاتصالات الصناعية : " القراءة النقدية لأدب الخيال العلمي، وهي بمثابة تدريب أساسي لمن يتطلع إلى الأمام أكثر من عشر سنوات"²، ففي الماضي كان الناس يقرؤون الخيال العلمي كوسيلة الترفيه والتسلية ، ثم استعملوه للتخطيط للمستقبل، لكن الآن أصبح من أهم الوسائل التربوية والتعليمية الحديثة كما أنه من أهم الأسباب الضرورية للإبداع والاختراع والابتكار والفكر، لغرس حب العلم وإعداد العلماء والمبدعين والمبتكرين والمفكرين، وليستعد الجيل الجديد لمواجهة صدمات وتحديات الحاضر والمستقبل ليس فقط على المستوى العلمي والتكنولوجي بل يتعداه ذلك إلى الأنظمة السياسية الاقتصادية والاجتماعية و الدينية. فغدا أدب الخيال العلمي ضرورة اليوم بلا خلاف.

وعليه يعتبر " أدب الخيال العلمي نوعا من المصالحة بين الأدب و العلم، أو على الأقل الجمع والتوفيق بينهما ،وفي مرحلة أولى استلهم العلماء الأدباء ، ثم تجاوزهم فأصبح الأدباء في مرحلة تالية يلهثون وراء اكتشافات العلماء اختراعاتهم"³، فهذا المفهوم يحيلنا إلى أنّ أدب الخيال العلمي يعتمد على المزج بين العلم والأدب في قصص تتنبأ بمستقبل العلم والعالم وتطوره وتوظف مسائله الاجتماعية و الدينية والسياسية والحضارية في تشكيل درامي تنبض من خلاله تلك الرؤى المنتظر وقوعها في المستقبل البعيد القريب، لهذا كان على الأديب أن يمتلك مهارة الإبداع الأدبي في تركيب الأحداث والشخص، والإلمام بالعلوم في جميع اختصاصاته وبآخر تطوراته ،مع متابعة وقائع و أحداث العالم في شتى المجالات، ليتمكن

¹ محمد عبد الحنان، الخيال العلمي في الأدب العربي المعاصر، دراسات ومقالات ، مجلة أقلام الهند ،السنة الثالثة، العدد الرابع أكتوبر-ديسمبر 2018،<https://www.aqlamalhind.com>،بتاريخ 2022/03/22 ، التوقيت : 20:20، نقلا عن

صفات سلامة ، عميد الخيال العلمي العربي، صفات سلامة، الشرق الأوسط، 8 يناير 2011م، العدد، 11729.

² المرجع نفسه.

³ محمد عزام ،الخيال العلمي في الأدب ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق، ط1، 1994، ص 9 .

من بناء عمله الأدبي وتقديم رؤية تخيلية تنبئية فيه للقارئ، ومثال ذلك " الرواية (من الأرض إلى القمر) للكاتب (جول فيرن) كتبت عام 1865م كرواية خيالية علمية وطبعت عام 1867م، وهذا الخيال الذي تصوره الكاتب في الرواية تحقق بعد قرن وبالتحديد في 16 يوليو عام 1969م حين هبط (نيل ارمسترونغ) (Neil Armstrong) في القمر"¹.

ويقول مجدي وهبة وكامل المهندس في تعريف أدب الخيال العلمي بأنه: " ذلك الفرع من الأدب الروائي الذي يعالج بطريقة خيالية استجابة الإنسان لكل تقدم في العلوم والتكنولوجيا ويعتبر هذا النوع ضرباً من قصص المغامرات ، إلا أن أحداثه تدور عادة في المستقبل البعيد أو على كواكب غير كوكب الأرض، وفيه تجسيد لتأملات الإنسان في احتمالات وجود حياة أخرى في الأجرام السماوية.. ولهذا النوع من الأدب القدرة على أن يكون قناعاً للهجاء السياسي من ناحية، وللتأمل في أسرار الحياة والإلهيات من ناحية أخرى"². فمن خلال المفاهيم - السابقة الذكر - تبين لنا تلك الرابطة العميقة والتماسكة في هذا النوع من الأدب والتي تكمن بين العلم والخيال ، هذه الرابطة التي محت من تصورنا المفهوم الخاطئ الذي كنا نعتقده من تناقض وتنافر بينهما ، فالعالم أو الأديب يجمعهما الخيال الذي يأخذهما في وقفة تفكيرية تخيلية صافية يتأمل منها الحاضر وأحداثه و صراعاته وأنظمتهم وقوانينه ويحوّله إلى عالم أرقى وحضارة لرؤيته في المستقبل ،وهو مستقبل غالباً ما سيأتي بوقائعه وخبائاه المستترة وراء كل ما معروف حاضراً ، ومنه فإنّ من يكتب في هذا النوع من الأدب لا ينجح إلا بثقافة علمية واسعة يستخدمها في أحداث قصصه ورواياته ففي هذا الشأن يقول (عصام البهي): "ولعله من المشروع بناء على هذا أن نقول إنّ أدب الخيال العلمي و إن كان أدباً خيالياً فالخيال فيه ليس جامحاً أو حراً، لأنه يربط نفسه منذ البداية بحقائق علمية معروفة علمية معروفة، أو باكتشافات علمية قائمة أو محتملة(بناء أيضاً

¹ *Encyclopedia Britannica: Neil Armstrong* <https://www.britannica.com/biography/Neil-Armstrong>

² *Armstrong*. تاريخ الاطلاع 2022/03/23 بتوقيت: 13:30

² مجدي وهبة وكامل مهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط.)، 1979م، ص: 105.

على ما هو معروف (ينطلق منها للكشف عن جانب مجهول من الكون أو من الحياة والنفس الإنسانية، محركا أحداثه من مكان مجهول في الحاضر والماضي ، أو منطلقا إلى المستقبل¹ و في نفس السياق يقول (إسحاق عظيموف) : " أعتقد أن أي فرد يصبو إلى مجتمع وعي أبسط في مجتمعنا ، وثقافة بدائية أبوية فاضلة بعيدة عن جنون الحياة الحديثة إنما يتوق إلى شيء لم يحدث ولم يوجد قط "² ومنه فإن المنفذ الوحيد للتعبير وللتخيّل والهروب من واقع الحياة الغير المرغوب فيه هو هذا الأدب برواياته وقصصه الخيالية الممزوجة بالعلمية ذات الأحداث المشوقة وتجسيدها لمخلوقات غير بشرية واستحضارها لشخصيات تراثية من أجل بناء عالما كما يراه صاحبه . لقد تمثل أدب الخيال العلمي في رواية لأن الانطلاقة له كانت من خلال الرواية والتي عرفت برواية الخيال العلمي والرواية المستقبلية ، والملاحظ أن ما يقال عن أدب الخيال العلمي يقال عن الرواية كون أنها الأساس والكل منه .

2 - الخيال العلمي في الخطاب الغربي والعربي :

لكلّ جنس أدبي يوجد أب روحي مؤسس له، وفي أدب الخيال العلمي " يتصدّر اسم (جول فيرن الفرنسي) (1828-1905) هذه المكانة، الذي تبنى هذا النمط من الأدب وأعطاه شكلا حديثا ، متقنا ، من خلال روايته (رحلة إلى جوف الأرض) 1864 م (من الأرض إلى القمر 1865م)³، أما عن ظهور هذا النوع من الأدب كان " في نهاية القرن 19 واشتد عوده في مطلع القرن 20 مع النهضة العلمية والثورة الصناعية والتقنيات الحديثة ، في أحضان (اليوتوبيات) المثالية في الأدب الغربي . فأول مهد للكتابة في رواية الخيال

¹ عصام البهي ، الخيال العلمي في مسرح توفيق الحكيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د.ط ، 1999 م ، ص 12.

² إسحق أسيموف ، الحقيقة والخيال ، تر : جمال الدين الفندي وجابر عبد الحميد جابر ، دار المعارف ، مصر ، (د. ط) 1995 م ، ص 353.

³ لمياء عيطو، سرد الخيال العلمي لدى فيصل الأحمر، دراسة نقدية، دار الأوطان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013 ص 47 ، 48، نقلا عن فيصل الأحمر ، في مقاربة الخيال العلمي ، ص 244.

العلمي (الكاتبة ماري شيلي) من خلال روايتها (فرانكشتاين) والكثير من المنظرين يعد هذا الميلاد الحقيقي للأدب الخيال العلمي وثقافة الخيال العلمي بصفة عامة¹

وامتدادا لكتابات (جول فيرن) ظهرت كتابات" (هربرت جورج ويلز) (1846-1866) الذي وصفه النقاد بـ (شكسبير الخيال العلمي) كتب أول رواياته الخيالية (آلة الزمن) 1895م والتي تعد أعظم روايات الخيال العلمي على الإطلاق وفي عام 1901م كتب رواية (رجال القمر الأوائل) تلتها أعماله الكثيرة المتنوعة. ويحتل المؤلف الأمريكي الروسي المولد (إسحاق أزيموف) (1920-1992م) الذي حظي بمكانة مرموقة بين رواد كتاب الخيال العلمي، بفضل كتاباته التي أيدت في رياض خياله الخصب، ومعرفته العلمية الواسعة، التي اتصف بهما. بحيث كتب ما يقارب 400 كتاب للصغار ولل كبار تركزت معظمها على العلوم الثقافة وأشهر كتبه هنا (أنا الإنسان الآلي) عام 1950م.²

أما عن أدب الخيال العلمي في الأدب العربي" فقد كانت له إرهاصات وبدايات أولى في التراث القديم ، مثلا ألف ليلة وليلة، وحي بن يقضان لابن طفيل، ورسالة الغفران للمعري، وعدد كبير من الكتب من القرون الذهبية الإسلامي التي لم تطبع³، أما في العصر المعاصر" الذي بدأ بترجمة (رفاعة الطهطاوي) كتاب (مغامرات تليماك) للكاتب (فنون) تحت عنوان (مواقع الأفلاك في وقائع تليماك) بين عامي (1851-1854م) ويعتبر هذا أول كتاب عربي في الخيال العلمي⁴ ، ثم بعد ذلك برزت محاولات (يوسف عز الدين عيسى) من الأربعينيات من القرن الماضي،"من خلال أول تمثيلية له أذيعت عبر البث الإذاعي

¹ لمياء عيطو، سرد الخيال العلمي لدى فيصل الأحمر ، ص : 48 (بتصرف)

² زعير نجود ، الخيال في الأعمال الأدبية ، عن الموقع

³ المرجع نفسه

⁴ زعير نجود ، الخيال في الأعمال الأدبية .

عام 1940 وهي عجلة الأيام ، مع العديد من التمثيليات بنورة الأميرة المسحورة 1942 م ، ورجل من الماضي 1950 م، أنباء هامة 1955م ، والطوفان 1960م¹ .

أيضا " من الرواد الأوائل في أدب الخيال العلمي العربي (توفيق الحكيم) الذي كتب أول روايته في هذا المجال بعد انتشار هذا الصنف في أدب الغرب بعقود، وأعانتته على ذلك سعة اطلاعه على الأدب العالمي الذي كان ينشر الخيال العلمي في تلك الآونة. ومن أشهر أعماله في الخيال العلمي (رحلة إلى الغد طبعت عام 1958م)، و(لو عرف الشباب) و(القصتين القصيريتين) (الاختراع العجيب) و(في سنة المليون)². إضافة إلى أعمال " نهاد شريف الذي يُعدُّ عميد أدب الخيال العلمي، وبرع فيه فاقترصر على هذا المجال، ولم يكتب أدبا في أي مجال آخر، وكتب عددا من الروايات في هذا المجال، ومن أهمها (قاهر الزمن) و(الشيء) و(الذي تحدى الإعصار) و(تحت المجهر) و(بالإجماع) و(رقم 4 يأمركم) و(سكان العالم الثاني)³.

وأيضا مع محاولات الدكتور طالب عمران في نشر هذا الصنف من الأدب، فقد كان رئيس التحرير في مجلة الخيال العلمي التي تصدر عن وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية. وكتب أكثر من سبعين رواية في الخيال العلمي العربي . منها (ضوء الدائرة المعتمة) و(أسرار من مدينة الحكمة) و(مساحات للظلمة) و(السبات الجليدي) و(ثقب في جدار الزمن) و(الخروج من الجحيم) و(بئر العتمة) و(طيور وسط النيران) وغيرها من الروايات الممتازة⁴.

إنّ الملاحظ في أدب الخيال العلمي عامة وخاصة الرواية منه عند الغرب قد بلغت تطورا وشهرة ، ذلك بوصفها رواية تجريبية جذبت إليها إقبالا كبيرا من طرف الباحثين والكتّاب والنقاد

¹ محمد أحمد مصطفى ، أدب الخيال العلمي الراهن والمستقبل ، فصول مجلة النقد الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ع 71 ، 2007 م، ص: 86.

² محمد عزام ، الخيال العلمي في الأدب ، ص: 86.

³ لمياء عيطو ، سرد الخيال العلمي عند فيصل الأحمر، ص : 224.

⁴ محمد عبد حنان ، الخيال العلمي في الأدب العربي المعاصر.(موقع ذكر سابقا)

مع توافد جمهور عريض من فئات المجتمع الذي أصبح من هوايته قراءة مثل هذه الروايات الخيالية، من أجل تتبع الافتراضات العلمية والتنبؤ بما هو آتٍ وتصور ما سيكون في المستقبل أو تخيل العيش في العوالم الغريبة مع مخلوقات بعيدة عن الحياة الطبيعية. أمّا عند العرب رغم أن المحاولات التي ليست بالكثيرة و ضعف التأليف في هذا النوع من الأدب إلا أنه أثرى التراث العربي بنوع جديد ومميّز بخصائص فنية وموضوعية، جعلت له كيانا مؤسسا في الأدب خاصة لعرضه لتلك الأحداث و الصراعات القائمة في المجتمعات جرّاء التطورات التكنولوجية التي مسّت جميع مناحي الحياة ونظامها، مع التنبؤ والاستشراف لحال هذا العالم نتيجة هذا التغيير وخاصة على النطاق الإيديولوجي .

3- الخصائص الفنية والموضوعية لرواية الخيال العلمي :

تتميز رواية الخيال العلمي بخصائص فنية وموضوعية تميزها عن غيرها ، لاتصافها بمميزات ميزتها عن باقي الضروب الأدبية الأخرى أو بالأحرى جعلت لأدب الخيال العلمي برمته مكانة متميزة تحت جناح الأدب الواسع بفنونه، فجمالية رواية الخيال العلمي لا تكتمل إن سقط جزء منها :

أ - اللغة :

غالبا ما تتعامل روايات الخيال العلمي مع اللغة على أنها مجرد أداة، لذا فهي تبسّطية ومباشرة ومقتصدة ، وهذا أمر يعد من أهم نقاط الاختلاف والافتراق بينها وبين الأدب الخالص عموما . فاللغة المستعملة في رواية الخيال العلمي " تتسم بالعلمية، أكان المراد منها الألفاظ أم التراكيب أم المصطلحات ،وهذه اللغة تكاد تتصف بالتشابه والتكرار من أجل ذلك وقد تتصف بالغرابة، إن لم يكن القارئ يملك زادا معرفيا منها، أو لم يكن المؤلف قادرا على توضيحها

من خلال السياق¹ ، لهذا كان على رواية الخيال العلمي أن تختلف في لغتها عن الرواية العادية لتوظيفها للمصطلحات العلمية التي لها علاقة بالتكنولوجيا والرحلات والسفر للفضاء أو التنبؤ بالمستقبل.

ب - التنبؤ بالمستقبل :

ذكرنا في خاصية اللغة - السابقة الذكر - أن رواية الخيال العلمي تختلف لغتها عن الرواية العادية لتوظيفها مواضيع تتعلق بالأسفار والرحلات إلى الفضاء، والتنبؤ للمستقبل هذا الأخير الذي يعتبر الحدث الأساس لرواية الخيال العلمي الذي يدور في عالم افتراضي مستقبلي، لذلك هي تعتمد على ما سيكون وتنبأ بما سيحدث كمصير البشر " في الغالب، ما يطرق كتاب روايات الخيال العلمي أبواب المستقبل بتنبؤاتهم دون زمن محدد ، نظرا لكون الخيال العلمي لا يمكن فهمه إلا في بعده الزمني ، فهو نظرة واسعة إلى العالم ، يتداخل فيها خيال الكاتب مع الحقائق والنظريات العلمية الموجودة والمحتملة ، ترسم أحداثا قابل للوقوع ومحتمل الحدوث ، وذلك انطلاقا من بعض التنبؤات ، التي يفترض العلماء حدوثها في المستقبل فالتنبؤ مثلا بما سيصير إليه الطقس العام لكوكب الأرض لأيام قادمة، ليس رجما بالغيب، بل ينبع من علوم لها أصولها وتطبيقاتها وحساباتها ومعادلاتها ، لا يتعلق الأمر إلا باحتمالات لكن بواسطتها يغدو التخيلي مرئيا"²

ج - الاسترجاع :

صحيح أن رواية الخيال العلمي أهم ما يميزها هو التنبؤ بالمستقبل، لكن لا يعني ذلك عدم حضور تقنية الاسترجاع التي عادة ما تكون " مصحوبة بضرب من الوصف المبرر

¹ بوشعيب الساوري، الخيال العلمي في الرواية المغربية الانشغالات والخصوصيات ،مجلة فصول النقد العربي ،عدد71، ص59.

² بوشعيب الساوري، الخيال العلمي في الرواية المغربية الانشغالات والخصوصيات ، ص59.

أو الهادف وتمتاز هذه التقنية بقدرات تحليلية عالية في معالجة الأزمنة السردية¹، وبما أنّ هذه التقنية لها بعد جمالي وفني في الرواية وخاصة رواية الخيال العلمي من خلال الرحلات العجيبة " فخيال الرحلة يتضاعف بخيال الزمن² ، وهذا بالتركيز على وصف الأشياء والآلات التكنولوجية وما يترتب عنها كآلات الزمن، والرجل الآلي، والصحون الطائرة، ليس هذا فقط حتى من خلال الأحداث التي وقعت فيما مضى والتي تنطلق منها الرواية في بناء حبكةها ، والتي يمكن أن تكون هذه الأحداث ذات بعد ديني أو سياسي أو اجتماعي مستتر وراء قناع النظام الراهن.

د - الرحلة الخيالية :

من أهم ما تحرص عليه روية الخيال العلمي الرحلة ، " التي تعد شرط مكان تسلسل سكان الأرض نحو عوالم أخرى ، وهي صور فضائية لتلك الرحلات التي قام بها المستكشفون في القرن السادس عشر ، أو المغامرون في القرن الثامن عشر³ ، "سواء أكان الحاضر زمنا لهذه الرحلة إلى العوالم المجهولة في الأرض الفضاء، أم كان المستقبل القريب أو البعيد زمنا لها، وهذا الحرص على الرحلة الخيالية يعلى دائما من شأن المكان في روايات الخيال العلمية ويكاد يجعله بطلا متمتعا بالغرابة والبعد عن المؤلف⁴، ويكون ذلك من خلال السفر عبر الزمن بتلك الآلات والوسائل التكنولوجية الحديثة لغزو الكون والعالم والبحث عن عوالم بديلة سواء أكان هذا الغزو من مخلوقات بشرية أو غير ذلك، فالهدف من الرحلة هو الهروب من الواقع إلى عالم جديد يُؤسّس له كيانه وقوانينه وشريعته السياسية والدينية ويُحدد له نظامه الاجتماعي التعليمي والاقتصادي والأمني، كل هذا تحت شعار بناء عالم موحد وراية واحدة خالدة .

¹ لمياء عيطو، سرد الخيال العلمي عند فيصل الأحمر ، ص 47 .

² جان غاتينيو ، أدب الخيال العلمي ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ط 1 ، 1990 ، ص 110.

³ المرجع نفسه ، ص 109.

⁴ بوشعيب الساوري، الخيال العلمي في الرواية المغربية الانشغالات والخصوصيات ، ص 59.

هـ - العوالم الغريبة :

تتسم روايات الخيال العلمي بالإبهام والغموض هذا لتبنيها لمواضيع متعلقة بعوالم غريبة بعيدة عن الواقع المعيش ، التي تجعل الفرد في حيرة من أجل فك رموز وخبايا عالم مجهول "بقدر ما يكتسب القارئ الإحساس بغرابة هذا العالم الخيالي الذي ينغمس فيه بسبب جمعه عن طريق المقارنة بين موسوعاته المعرفية المألوفة وبين الموسوعة الغرائبية المفترضة"¹، ذلك أنّ هذه العوالم تتحرك فيها الشخصيات عوالم غريبة يوتوبية (مثالية) تتحكم فيها التكنولوجيا الدقيقة كالحاسوب (الآلة) لهذا ستكون صارمة في تطبيقها للقوانين وبناء عالمها الذي ترى فيه عالم مثالي محصن من أي تدنيس كان .

من خلال ما تمّ رصده من سمات وموضوعات لرواية الخيال العلمي، توضّح لنا أنها تختلف عن الرواية العادية ، من ناحية اللغة التي تبتعد عن الإنشائية واقتباسها من المعجم العلمي كألفاظ الآلات والتكنولوجيا ، وأيضا توظيفها للرحلات الفضائية والتحكم في الزمن بتقديمه وتأخيريه في حركة استباقية استرجاعية في أمكنة غير أمكنة الواقع المعيش، واستحضارها لشخصيات يمكن أن نجد لها أقرانها في التراث لكن بمبادئ مغايرة وتركيبية غير المعروفة لدى الجميع ، فلولا هذه الخصائص الفنية والموضوعية لَمَا تميّز هذا الأدب ، ولَمَا ذاع صيت رواية الخيال العلمي، ولَمَا ألفت فيه العديد من المؤلفات قصص، روايات، وحررت فيه دراسات ومقالات نقدية تجتهد إلى أن تكشف خصوصياته وماهيته وتتبع مراحل تطوره من عصر إلى عصر .

مما تقدّم يتضح لنا أهمية ودور الخيال العلمي في الأعمال الأدبية الذي يمثل قدرة ذهنية تأخذ الإنسان إلى عالم مثالي افتراضي في جميع الأزمنة ، لهذا كان هذا الأدب وجهة العديد

¹ لمياء عيطو، سرد الخيال العلمي لدى فيصل الأحمر ، ص 46 .

من المؤلفين في البلدان العربية والغربية على وجه الخصوص حيث ؛ أصبح يشكل نوعا من الأنواع الأدبية الكلاسيكية ، التي تستحق الممارسة والكتابة الإبداعية .

أما إذا تحدثنا عن هذا الأدب في الجزائر سنصوب السهم على الرواية باعتبارها تمثل حصة الأسد منه من خلال بعض المحاولات التي تعتبر محاولات ليس بالكثيرة مقارنة بتأليفها عند الغرب وباقي الدول العربية ، والمدرجة تحت عنوان الخيال العلمي في الخطاب الروائي الجزائري.

4 - الخيال العلمي في الخطاب الروائي الجزائري :

لو تحدثنا عن الخيال العلمي في الأعمال الأدبية على مستوى الساحة الأدبية الجزائرية لوجدناه غائبا " لأسباب كثيرة ومتراكمة تغوص بعضها إلى الامتدادات الفكرية للكاتب العربي والجزائري على وجه الخصوص ، ورغم وجود أصول لهذا الأدب في الثقافة العربية والتي لم يغلب عليها الخيال المجنح المطلب غير المقيد بالعلم، إلا أنّ ربطه بتطورات العلم جعله أدب يتطلب الكثير من الاطلاع وزاد معرفي وثقافي ، ويُعد النظر وتعاطي الفلسفة والأسئلة الكبرى مما يجعله أدب صعب يتطلب جهدا أكبر"¹.

إضافة إلى ذلك يمكن القول أن غياب أدب الخيال العلمي في أوساط الأدب الجزائري هو نقص الإطلاع والجهل بهذا النوع من الأدب كما يمكن أن نلاحظ إشكالية الواقع والواقعية التي يحاول البعض التدين ، كما نجد البعض يصنف هذا الأدب في خانة أدب النخبة والترف فكثيرا من النقاد يُرجعون شح الكتابات العربية عموما في هذا النوع إلى غياب العلم كمكون عضوي عن حياتنا اليومية، مع أنّ الكاتب فيصل الأحمر يرجع هذا النقص الإبداعي عن غياب التأليف الفلسفي فيقول " وإن كنت شخصا أعتقد أنّ هناك بيئات ليست شديدة التطور

¹ حوار مع نبيل دادوة، تحت عنوان: الخيال العلمي ... الفن المجهول في الأدب الجزائري ، أجرته نؤارة لحرش ، نشر بجريدة النصر بتاريخ : الثلاثاء 29 سبتمبر 2015 م. نقلا عن الموقع <https://www.annasronline.com/index.php> تاريخ الاطلاع : 2022/02/28 ، التوقيت : 21:00

العلمي ، أو لا تعرف حياتها اليومية ثراء علميا خاصا تطور فيها هذا النوع والمقصود هو بلدان مثل أمريكا اللاتينية وشرق آسيا، والسبب في عرفي هو غياب مشروع حقيقي، وغياب تطلعات أدبية كبرى في بعض البلدان المختلفة، كما هي حالنا ، وأنا أتساءل عن غياب التأليف الفلسفي مثلا ، ولا أحد يتساءل عن بلدنا لماذا لا نملك فيلسوفا ؟ لا يوجد ولو فيلسوف واحد في الجزائر كلها ، وهي ظاهرة تستدعي الانتباه أكثر من شح التأليف الخيالي العلمي لكي نتساءل عنه داخل (خ ع)¹.

فالنظر في تاريخ الرواية الجزائرية يجده غير متجانس ومتكامل مع تلك التطورات والاكتشافات الحاصلة في العالم ، ذلك لارتباط الرواية الجزائرية بعمق المأساة الوطنية سواء في فترة السبعينيات أو فترة الثمانينيات ، أو خلال مرحلة الكتابة التسجيلية لأحداث العنف في التسعينيات ، وبالتالي فالأحداث التاريخية المختلفة عملت على مصادرة رواية الخيال العلمي التي لم تكن في فكر الكتاب آنذاك ، ناهيك عن الوضعية الاجتماعية لبعض من الكتاب الذين ليس من اهتمامهم الترف العلمي ، بقدر ما كان اهتمامهم البحث عن الذات وتجاوز مسألة الإرث التاريخي الذي كان في كل مرة يضغط على مسألة الكتابة بشكل عميق. فالتاريخ وأحداثه عبر محطات زمنية مختلفة كون لنا فردا واقعيا ، ولا يُعنى بالخيال لأنه جوهره الضمني ينتمي إلى جماعة لا تخرج عن التقليد ، مقيدة مع التاريخ والدين .

رغم كل هذا ومنذ مطلع التسعينيات بادر الكتاب الجزائريون بالكتابة في هذا النوع الأدبي الجديد وحاولوا التنظير له والتعريف به ضمن مقالات كثيرة عبر الجرائد ، كما ترجموا بعضا من الأعمال العالمية على غرار قصة (الإجابة) لكاتب الخيال العلمي الشهير الأمريكي (فردريك براون) ، كما ترجم كذلك الكاتب (فيصل الأحمر) رواية (الدوس هكلسي) الخالدة (عالم جديد فاضل) ، وفي هذا السياق لا يفوتنا أن ننسى الكاتب (حبيب مونسي) الذي يعد

¹ حوار مع فيصل الأحمر ، تحت عنوان : مشروع الخيال العلمي بين الواقع والخيال ، أجرته نؤارة لحرش نشر بجريدة النصر بتاريخ : الثلاثاء 29 سبتمبر 2015 م. <https://www.annasronline.com/index.php> تاريخ الاطلاع :

من الأوائل الروائيين الجزائريين الذين خاضوا غمار هذا النوع الجديد في روايته (جلالته الأب الأعظم) ، هذه الرواية التي ستكون محل تطبيق دراستنا في استخراج الأنساق الثقافية المضمنة فيها وما تعكسه من أبعاد إيديولوجي.

الفصل الأول

الأنساق السياسية والدينية في رواية "جلالته الأب الأعظم" لحبيب مونسي

أولاً : الأنساق السياسية في رواية (جلالته الأب الأعظم) لـ "حبيب مونسي"

1 - استشراف الحكومة الخفية في المتخيل السردي

2 - الماسونية المحفل الشيطاني الخفي في برتوكولات الدولة الموحدة

ثانياً : الأنساق الدينية في رواية (جلالته الأب الأعظم) لـ " حبيب مونسي "

1 - الحضور الديني الاستشرافي في متخيل (حبيب مونسي)

2 - قيام دولة الإسلام على أنقاض الدولة العالمية

توطئة :

رأينا سابقاً أنّ رواية الخيال العلمي شكّلت منعطفاً جديداً في الساحة الأدبية خلال العصر الحديث والمعاصر ، ذلك لما تتكئ عليه من معارف وعلوم ، ومواكبتها للتطورات العلمية والتكنولوجية، واعتمادها في تصوير الأحداث على التفاعل مع العالم الخارجي ، لهذا كان سردها للأحداث، وتركيب الشخصيات ، وتشكيلها لحبكة مطروحة وفق مخيّلة متغيرة من زمن إلى زمن مراعاةً لمقتضيات الحياة و مستجداتها ، ومنه كان على هذا النص الروائي أن يُحمّل بأبعاد تتداخل فيما بينها مشكلةً وجهة إيديولوجية ، ومسترجعة للتاريخ ، ومختلف المظاهر السوسيوثقافية ؛ ذلك أنّ أحداث الرواية المفتعلة والمصاغة في لغةٍ و تركيب الكاتب تحمل في مضمونها أبعاداً غير مصرح بها في العمل الروائي ، تتدرج تحت لواء الأنساق الثقافية الظاهرة والمضمرة ، ولأن بروز هذا الضرب من الجنس الروائي في مجتمع ما؛ يعد مظهراً من مظاهر التطور الثقافي، والفكري فيه ، وانعكاساً جلياً له؛ لمسايرته التطورات المتسارعة، التي تجتاح العالم ، أدركنا أن هذه النهضة لها إفرزاتها ، في شتى المجالات لا سيما الأدبية منها التي اقترنت بهذا التحوّل بكل أقطاب الحياة السياسية ، والاجتماعية والدينية و التاريخية ، وعليه يمكن لنا أن نطرح الإشكالية التالية : كيف يمكن لكاتب أدب الخيال العلمي أن يحمّلوا نتائجهم الإبداعي بأبعاد إيديولوجية لعالم افتراضي لواقعهم ؟

إنّ هذا الأمر دفع بنا لرصد الأنساق الثقافية لرواية الخيال العلمي، وما تضمه هذه الأنساق انطلاقاً من التحليل الثقافي للرواية في جميع مكوناتها لاستشفاف كل ما هو مضمّر تحت البنى السطحية وما ترمي له في أبعادها السياسية والدينية وكل ما له علاقة بكيان المرء . وعليه سنتناول عينة في هذا الفصل الأنساق المضمرة ومقاربتها ظاهرياً في المجال السياسي والديني التي طرقت رواية الخيال العلمي أبوابها، وأعلمها رواية (جلالتة الأب الأعظم /الخطر الآتي من المستقبل) لصاحبها (حبيب مونسى).

* ملخص الرواية :

تعتبر رواية (جلالته الأب الأعظم/ الخطر القادم من المستقبل) محاولة نادرة في الخيال العلمي ضمن رفوف المكتبة الأدبية الجزائرية باللغة العربية .

تتضمن الرواية تمهيدا يحوي خمس رسائل ممضاة من طرف أشخاص أقدموا على الانتحار لوضع حد لحياتهم البائسة التي أصبحت تحت رحمة الآلة ، وقد كانت هذه الرسائل تعالج وضعية الإنسان المستقبلي فوضعنا فوق أرضية الحياة الجديدة ، ثمَّ عرّفنا الكاتب بالشخصية المحورية للرواية (جلالته الأب الأعظم)، ذلك الرجل الذي جاء ليُخَلِّص البشرية مما آلت إليه بفتح أبوابه لهم تحت شعار الأخوة و التسامح ، وهذا تحت برنامج مُخطط له مسبقا مع مجالسه السريّة التي ترعاه ،ليظهر لنا بشخصيته الطاغية .

ناهيك عن شخصية (جلالته الأب الأعظم) يقدم لنا الرّوائيّ شخصية (إشتار) الوصيّة التي اتخذها الأب الأعظم بمثابة (الأم العظمى) ، ثمَّ يقوم بإحضار الصّبيّ (موسى) عن طريق (العقل الجبار) وتتعلق (إشتار) به وتتخذ ولدًا لها .

يتربّى الصّبيّ موسى في قصر الأب الأعظم ويتعلم بأحدث التقنيات وبعد أن يبلغ سن الشّباب يحاول أن يتعرف على العالم الخارجي ، ويرى إنسان ما خلف جدران القصر فتساعد (إشتار) على إقناع (الأب الأعظم) ، ويتم له ذلك ليكشف أن الرجل الذي تربّى في قصره ما هو إلّا وحشا جاء ليكتب أقدار البشرية بأبشع صورة ، ويحاول تخليص الأمة من همجية الأب الأعظم وهمجية آله التي قضت على الإنسانية ؛ وهذا بمساعدة مجموعة من الأصدقاء الذين ينتمون إلى آخر طبقة من طبقات الدولة العالمية، وهي طبقة العمال وهم (العرب) .

إذن يقوم الشاب ببعث مجموعة من الأشخاص الذين تمّ استبعادهم عن العمل وفُضِّلوا عن مشاغل الحياة فيكونون عونًا له في تخليص البشرية ، كما يتمّ القبض على الفتاة (دينا) التي بعثها (الكاهن الأعظم) من أجل قتله وتحوّل الفتاة من عدوة إلى صديقة بل عاشقة له

ويتم تعطيل جهاز (العقل الجبار) وتحويل معلوماته لجماعة موسى ، وبهذا يعمل على إنقاص البشرية من كابوسها وهزم (الأب الأعظم) الذي يتعرض في الأخير إلى القتل من طرف (الكاهن الأعظم) الذي لطالما اعتبره ذراعه الأيمن ، ويتم بذلك القضاء على الظلام الذي عم البشر طيلة سنين عديدة وتشرق الحياة من جديد .

أولاً: الأنساق السياسية في رواية (جلالته الأب الأعظم) لـ "حبيب مونسي":

1 - استشراف الحكومة الخفية في المتخيل السردي:

تعتبر الرسائل الانتحارية المُمهّدة لرواية (جلالته الأب الأعظم) الهيكل المحيط بمتنها والانطلاقة الفعلية لزمان وقوع مجريات أحداث الرواية بدءًا من الحاضر في 2012، فهي بمثابة اعترافات لأشخاص يائسون من عواصم مختلفة من العالم، أرهقتهم سلطة (جلالته) وسياسته الجديدة لدولته الموحدة، فوصلوا فيها إلى نهايات مأساوية مجردين من هويتهم الإنسانية، والدينية والأخلاقية، وهذا ما جاء في قول البروفيسورة (هيلين . د. أسلو): " أين الأسرة؟ أين الأمومة؟ أين المشاعر والعواطف؟ أين الأمل؟ ...

أين الإنسانية في كل ذلك؟ أين هي والبشرية تساق نحو نخر نووي جرثومي؟

أين هي والأسرة والمجتمع يقتلها بشيطان الجنس ..

أين هي والبشرية تنتحر بالمخدرات والسموم؟ إنّه الموت.¹

فالرسائل توحى في مدلولها إلى حياة البشرية في العالم المتأزم بأوضاعه السياسية والدينية والفكرية، حتى أصبح فيها المرء مجردًا من كل القيم الأخلاقية ويبحث عن الخلاص في أي طريقٍ كان حتى ولو كان في مسار الموت .

ليُج بنا الكاتب (حبيب مونسي) إلى عالمه المتخيّل عبر العتبة النصّية (تمّ للرجل المعجزة ما أراد) في المتن السردي، فيقدّم العالم في المستقبل، مستشرفا وقائعه وأحداثه من منظور إيديولوجي مضمّر وراء البنية السطحية للبناء السردي المتجسّدة في مشاهد السرد وشخصه الساردة المتمثّلة في (جلالته الأب الأعظم، موسى، الكاهن، العقل الجبار، ..). وهو العالم الذي يحكمه الرجل المسخ أو ما يُعرف بـ (جلالة الأب الأعظم) القادر على قراءة أفكار

¹ حبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د، ط، 2002، ص: 23.

الأخرين وإخضاعهم لدستوره وديانته، مقابل تخليص البشرية من أهوال واقع العالم وآلامه التي عايشها الشخصيات المنتجرة الواردة في مدخل المتخيّل السردى .

وبما أنّ الرواية ضرب من أدب الخيال العلمي كان للتكنولوجيا حضور مميز؛ باستغلالها وتحويلها إلى أداة للقيادة، بفرض السلطة السياسية لشخصية (الأب الأعظم) ودينه الجديد على البشرية، مستعينا في ذلك (بالعقل الجبار) تلك الشخصية التي مثلت (الآلة) التي ساقّت جمعاء الأمة، بتسطيرها لناموس الدولة الجديدة والموحدة في دينها، وجيشها، وهيكلها ونظامها السياسي؛ لهذا الصدد حمل (حبيب مونسي) أفكارا، ومعتقدات، ومبادئ، وثقافات استقاها من واقعه متكئا عليها كمرجعية ثقافية في بناء خطابه الروائي من خلال تلك الأخيلى التصويرية والعجبية للمستقبل في زمن ماضٍ حاضر، فكانت رواية (جلالته الأب الأعظم) تزخر بأنساق ثقافية مراوغة تتباين في اللغة كبنية سطحية فنية جمالية، لكنها تضمّر دلالات وأبعادا مستترة على مستوى البنية العميقة للمتن الحكائي .

فالتحليل الثقافى هو من سيسمح لنا في استظهار هذه الأنساق بناء على تلك المرجعية التي تبناها الكاتب في نقل رؤيته الاستشرافية لواقع العالم المنهار والمهدّد بالخطر المجهول والمنطوي بتلك التكنولوجيا للحكومة الخفية المضمرة في المتخيّل السردى.

فالحكومة الخفية - أو ما يُعرف بالدولة العالمية الموحدة في المتن السردى - نسق يرمى في معالمه الجديدة كيانا إنسانيا جديدا بفكر وثقافة مختلفة عالية، هدفها الظاهر توحيد أفراد مجتمعات العالم والسعي لتحقيق الاتزان والعدل، لكنّ القراءة العميقة للنص السردى تكشف لنا ما سيحققه هذا العهد الجديد بظهور (الرجل المعجزة) المخلص للبشرية وحاكمه، والمؤسس لديانة جديدة يقدّس لها جمعاء البشرية، وإنّ هذا الكشف لا يكون إلاّ بانغماس القارئ في حيلولة النص الحكائي واستدعاء جميع حواسه الفكرية، واستحضار مظهرات الثقافة والدين والحضارة لتفكيك هذا النسق الباطنى، والمحمّل في ذاته بأنساق جزئية لها دلالات

وأبعاد تختفي وراء لغة النص بأسلوب فني شيق، ينتهج مسارا عقائديا وسياسيا لحال الغد المجهول .

1-1 نحو بناء الدولة المثالية / الخطر الآتي من المستقبل :

تتجلى أهمية النسق السياسي في العمل الروائي في ذلك الإطار المعبر عن الأبعاد والرؤى الأيديولوجية للذات المؤلفة ، لهذا يتمركز الواقع السياسي في المتخيل السردى انطلاقا من ارتباط الكاتب بالواقع و بمخيلة عمله الإبداعي تحت غاية مستهدفة تتحقق بعمل هذا النسق "يجب على السياسية من خلال فعلها على الأشياء (to get things done) كما يقول بارسونز، التوصل إلى حالات مرضية ، أو تفشل بوصفها سياسية ¹ هذه السياسة التي كانت ممنهجة ومتحققة في روايتنا الاستشراقية (جلالته الأب الأعظم) ، التي نقلت ضمن مشاهدتها السردية تصور الكاتب لأيديولوجيا واقع المستقبل في بناء حكومة عالمية موحدة شعارها المثالية ، مدلولها الخطر الآتي من المستقبل.

فانطلاقا من العنوان المدرج أعلاه (نحو بناء الدولة المثالية / الخطر الآتي من المستقبل) المستوحى من المضمون السردى والمشار إلى جزء منه كعنوان فرعي للرواية (الخطر الآتي من المستقبل) سنجد فيه مفارقة لغوية ودلالية تفرض علينا أن نطرح السؤال التالي : كيف يخطط لبناء دولة مثالية وهي تمثل الخطر القادم في المستقبل؟ ، هي مفارقة تحيلنا إلى نسق سياسي متضاد ومتضارب تمثل في بناء الدولة العالمية الموحدة ونظامها الجديد الذي جسده (العقل الجبار) وسيط الشخصية (الرجل المعجزة) لتسيير مصير الإنسانية والمثول له ولدولته الفاضلة التي تنتشد المساواة والعدل ، وتضمير العرقية والتطرف والتعصب ، ويتجلى هذا المقصود بشكل صريح في ندائه: " تعالوا أحبائي .. تعالوا إلى مدينة جديدة، لا سيد ولا مسود. إلى دولة لا تحمل من معاني الدولة ما ألفتموه أنتم، و آبائكم، وأبنائكم، ومواليكم ، وحكامكم

¹ نيكلاس لومان ، مدخل إلى نظرية الأنساق ، تر : يوسف فهمي حجازي ، الحقوق محفوظة منشورات الجمل، كولونيا (ألماني) - بغداد ، ط 1 ، 2010 ، ص : 33.

من قبل .. تعالوا نحطم القيود المفروض علينا باسم الإيديولوجيات، باسم الديانات، والجنسيات (...) تعالوا نقلب كراسي الحكم في كل مكان ، ونكسر أعوادها حكاما ومحكومين ، ثم نحرقها في النار المقدسة التي ستظهر في كل مكان ، لتلتهم ركام الحضارات والثقافات والافتراءات .. نحرق كتبنا كلها .. نحرق عاداتنا كلها ..¹ ؛ إنّ هذا النسق يرمي بمعالم فكرٍ وقوانين وثقافة وديانة لدولة جديدة ، هدفها الظاهر توحيد الأفراد والمجتمعات والعالم ، والسعي لتحقيق العدل والمساواة والإخاء الذي يكون بوضع الدستور المقدس الخاص بجلالة (الأب الأعظم) ، لتخضع له كل من البشرية ، والسلطة، والحكم يتضمن أبوابا " على شاكلة النصوص القانونية ، لتأخذ الديانة الجديدة طابع الشمول ، فتتضمن توجيه الحياة العقائدية ، والحياة القانونية ، فلا تعزل الدين عن الدولة ، ولا الدولة عن الدين "² .

فسياسة (الحاكم الأعظم) سياسة مراوغة في نظامها و مدروسة مسبقا بإستراتيجية موضوعة بمساعدة حلفاء مجهولين، تضمن تحقيق الهدف المرجو المستتر وراء بناء هذا العالم ووراء هذه الغاية المعلن عنها.

فتغيير العالم وبناء دولة جديدة مبدؤها المثالية والتسامح معلم سياسي ظاهر ، لكن يبدو أن هذا العالم في باطنه منتقض لأي ديانة، ولأي معتقد ، ولأي أفكار، منتاسي للتاريخ ومرجعيته عالم جديد أساسه توجيه البشرية لتقديس ديانة حاكمه ، وتتبع ما جاء به من سياسة .

إنّ هذه الغاية التي يسعى (جلالته الأب الأعظم) أن يحققها في عهده الجديد تُضمر لها غاية مناقضة ، والمُتنبأ لها في رؤية (حبيب مونسي) ، المنبعثة من مخيلته المقترنة بوقائع عصره وثقافته ، ومعلوماته السياسية والعقائدية لعالم الغد تحت لواء الدولة العالمية الموحدة أو ما يُعرف بالماسونية " المنظمة اليهودية السرية الهدامة ،الإرهابية الغامضة ، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم ، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد ، وتتستر

¹ الرواية ، ص :44.

² الرواية ، ص : 82.

تحت شعارات خدّاعة : حرية وإخاء ومساواة ، وجلّ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم من يوثقهم عهدا بحفظ الأسرار ، ويطبقون بمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام تمهيدا لتأسيس حكومة خفية مرسومة عالمية يهودية "1.

لقد أراد الكاتب من خلال منتجه الروائي هذا أن يكشف عن لثام هذه المنظمة وسياستها من خلال عرض مبادئها ومعتقداتها الظاهرة للعامّة في جانبها الإيجابي ؛ المعبر عنه في الأخوة والتسامح والتكافل والعدل، والمبرز في البنية الفوقية للخطاب الروائي من شخصيات ساردة ومجريات للأحداث المتوالية فيه ، لكنّ البحث في ضمنية هذه البنية والمتجلى في نبذ الديانات ، وحرق الكتب السماوية ، و فك القيود والتحرر من أي ضوابط أخلاقية ، والمثول نحو ديانة الحاكم وما تعتمد من مثل في الإباحية والفساد الأخلاقي يحيلنا إلى الوسائل والأساليب بشتّى أنواعها التي تبنتها الماسونية في فرض سيطرتها على العالم لتحقيق هدفها والمتمثل في " تكوين جمهوريات عالمية علمانية لآ دينية تحت تحكّم اليهود؛ ليسهل تقويضها عندما يحين موعد قيام إسرائيل الكبرى "2. وهذا ما أضمرته (رواية جلالته الأب الأعظم) كنسق ضمني كلي و المؤشر له سابقا تحت عنوان (الخطر الآتي من المستقبل) الذي سيحققه التفاعل والتكامل القائم في لغة النص ومدلولها وما ترفعه من أبعاد أيديولوجية بحسب رؤية الكاتب الاستشرافية للمستقبل ولإنسان الغد تحت لواء هذه المنظمة التي ارتدت قناعا إنسانيا إصلاحيا ،وهي تسعى في حقيقة وجهها لنشر الماسونية اليهودية وسيطرتها على العالم بذكاء مكر وحكمة في التخطيط والتسيير والتنفيذ ،مستغلة بذلك غفلة البشرية وانشغالهم بالتطور التكنولوجي وماديات الحياة ،والسعي وراء تحقيق متعة الحياة ماديا وجنسيا دون احترام المبادئ الأخلاقية و القيمية . لهذا كان وراء نسق بناء الدولة المثالية (لجلالته الأب الأعظم) نسق

1 خالد علي عياس القط ، دلالات الرموز والأرقام المقدسة في الفكر الماسوني ، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية ، العدد 26 ، 2017 ، ص 204 ، عن الموقع <https://mafa.journals.ekb.eg/article> تاريخ الدخول 30/04/2022 التوقيت

10:00 صباحا

2 محمد علي الزّعيبي ، الماسونية في العراق ، طبعة معتوق إخوان ، بيروت، لبنان ، ط 1 ، 1972 ، ص : 110 .

ضمني مستشرف من الخطر الآتي في المستقبل الدولة الماسونية ، مستعملة في ذلك وسائل وآليات سياسية إعلامية مراوغة بين فكرتها ومدلولها .

1-2- التطهير / التدنيس في الدولة العالمية العلمية:

يعتبر التّحريف والتشويه المصطلحي لغة جزءا من أجزاء الصراع السياسي والإعلامي في العالم اليوم، وهو أحد مؤشرات التضليل السياسي المعتمدة من قبل بعض المنظمات والهيئات والأحزاب لمضامين عديد المصطلحات المتعارف عليها لدى الخاصة والعامة. لهذا تعتمد إستراتيجيا التسطيح اللغوي والتشويه المفهومي لها من قبل الشخصيات السياسية ، وذوي النفوذ وأصحاب السلطة والمركز؛ باعتبارها آلية من آليات الصراع السياسي والاستقطاب والتعبئة للجماهير . وهذا التخطيط يندرج ضمن الإيديولوجيات التي تسعى إلى أن تحوّل أنظار الناس عن مشاكلهم الحقيقية وتلهيهم بمسائل ثانوية ، والتي من سماتها أيضا أنها إيديولوجيات غير عقلانية لانتشارها في الأوساط الاجتماعية والسياسية التي يعيش فيها الناس حالات اليأس والاضطراب النفسي والشعور بالخوف من المستقبل.

وعدم الدقة في استعمال مصطلح أو مفهوم ما من حيث السياق والمعنى سوف يخدم هذه الأيديولوجيا المموّهة باعتباره يتّصف بالغموض، وبالتالي يمكن استعماله في غير موضعه.

ولأنّ مفهوم التطهير يعني من الجانب الديني تنقية الشّيء (الجسم والنفس) من حالة الرّجس قال تعالى : " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا"¹، "وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ"²، أضف إلى أنّه مصطلح تواضع العامة والخاصة على مفهومه ضمن المجال السياسي، والذي يهدف إلى إعادة بناء حياة الشعوب من حيث الوعي السياسي و التفكير العقلاني وتحقيق شروط التحوّل الحقيقي للعالم وذلك بالإرادة والتخلي بالقيم الأخلاقية العالية لدى السلطة .

¹ سورة الأحزاب ، الآية 33 .

² سورة المدثر ، الآية 04 .

إنّ هذا الإجراء ينطبق على مصطلح (التطهير) الذي رفعه (حبيب مونسي) في خطابه الروائي من خلال الحملة التطهيرية التي شنتها الشخصية الرئيسية (جلالته الأب الأعظم) لبناء الدولة المثالية تحت شعار الأخوة والمساواة ،وهو ما ينطبق على مفهوم التطهير كأصل ومفهوم شائع لدى العامة ، لكن ما نراه ضمن حيثيات المتن الحكائي أن هذه الحملة تحمل أبعادا ورؤى مناقضة تماما ، فالتحليل الثقافي وما يركز عليه في تفكيك شفرات لغة النص ومدلولها من مرجعيات الكاتب والمتلقي، الدينية والسياسية والاجتماعية يحيلنا إلى ضمنية هذه العملية الأساسية في بناء سياسية الدولة ، بدءا بتطهير الكيان الإنساني في مختلف جوانب شخصيته الدينية ، والاجتماعية ، والعقائدية، والتاريخية امتدادا إلى ما أرقى من ذلك الإحساس والمشاعر ، وهذا ما نادى به (الرجل المعجزة) " أحرقوا كتبكم ..أحرقوا عاداتكم .. مزقوا كل شيء وستأتي النار المباركة المقدسة لتطهر الساحات، ثم القلوب والنفوس . فلا يبقى من الأمس شيء لا في الضمائر ولا في السطور .. إنه الخلاص ..إنه الخلاص .."¹؛ ليتوقف الزمن وتتعلل الحياة ، و تظهر فجأة الحياة الجديدة المقدسة المدنسة بنظامها وقوانينها وديانيتها وتصبح البشرية مقتادة من طرف قوى عجيبة ومرغمة تحت هذا النظام الوليد بإتباع سلطته وتطبيق كل الأوامر دون الالتفات إلى الوراء ،والسير قدما نحو ما حُطط له من وراء هذه العملية التطهيرية التي هي من الآليات الضمنية لبناء الدولة الموحدة الماسونية اليهودية وفي هذا الحوار السردي تتضح معالم هذا النسق المضمّر "سمو الكاهن الأعظم إننا الساعة أمام مهمة عظيمة لا بد من إنجازها في أوجز وقت حتى لا تقلق الرعية في انتظار الدين الجديد الذي يسد فراغ الديانات السابقة ، والتي قضينا عليها أثناء الحملة التطهيرية الكبرى .. لذا لا بد لنا من وضع التشرifiات جانبا ، وأن نعمل مثلما كنا نعمل في السابق سويا في إنشاء الكتاب المقدس ،وتثبيت نصوصه ، بعدما اقتبسناها من تراثنا القديم، وصقلناها لتتناسب ما نحن مقدمون عليه الساعة .."²، فهذه المهمة ستكون تحت إشراف (العقل الجبار)، تلك الآلة المعقدة

¹ الرواية ، ص : 46 .

² الرواية ، ص : 85 .

التّركيب بالأزرار والأنوار ، التي قدمتها البشرية في مجال البحث العلمي والتطور التكنولوجي و التي ستسطرّ الدساتير الجديدة وفق كل شريحة من شرائح المجتمع ، مع مراقبتها وسيطرتها على كافة أجهزة الدولة سواء كانت عسكرية أو ثقافية أو اقتصادية ؛ لهذا إتسمت (رواية جلالته الأب الأعظم)بتعريّة ووصفٍ للوقائع الاجتماعية ، والفكرية ، والإيديولوجية ، الملفتة حول ذلك الخيال الذي ضرب في عمق التكنولوجيا المستقبلية .

ومنه فإنّ حملة التّطهير التي كانت من قيادة (الرجل المعجزة) وأداته (العقل الجبار) التي حوّلت ضمنها الإنسان إلى آلة تخدم مصالحه، مغيرة نمط الحياة ومسارها بتنفيذها لتشريفات نجسة وغير عقلانية مناقضة لغاية التطهير المعلن عنها في البدايات، فالتطهير في سياسة(جلالته الأب الأعظم) كان نزعة لتوجيه ضربات عشوائية ضد البشرية في مستويات مختلفة.

فسياسيا قسّم (الأب الأعظم)دولته إلى مقاطعات وكل مقاطعة لها دورها في الجهاز الإداري للدولة وهذا ما صرّح به رئيس الحكام قائلاً : " لقد قسمنا الدولة إلى ثلاثة وثلاثين قطاعا ، وجعلنا على كل مقاطعة حكما يتولى شؤونها ، يساعده في ذلك كاهن من مجلس الكهنة ، وعسكري من مجلس العسكريين ، ومربي من مجلس المربين ... وقررنا أن نحج إلى القاعة المشرفة مرة كل شهر، لنتزود بالطاقة التي ينعم بها علينا جلالته الأب الأعظم ثم نعود إلى مهامنا .."¹ ، وفي هذا النطاق استغل (جلالته) المرأة وفتح المجال للإباحية والجنس لفرض سياسته ، رغبة في تحفيز العملاء ،والجيوش ، والرعية، بإثارة شهواتهم ونزواتهم ، وهو في قوله : " لقد استطاع الرجل المعجزة أن ينشئ لنفسه حريما فريدا ، حشد فيه أولا فتاة أرادت أن تهب نفسها لجلالته خلال تقلبه في أطراف الأرض ، وعاد بعد جولته بجيش من الحسنات. ثم أمر وصيفاته بإعادة الكرة لما خطرت له فكرة إقامة قصور الملذات في أطراف المعمورة يقدمها جزاء للولاء ، فهي تخدم سياسته خدمة مباشرة، بما ت، قدم للمنعم

¹ الرواية ، ص :60

عليه من مسرّات. تعد الإقامة في قصر من تلك القصور أكبر نعمة يطمح إليها العامل، فيكون سعيه في الحياة هو الوصول إلى عتبة القصر ..¹ .

فهذه اللفظة وراء الجنس والإباحة جعلها (الرجل الأعظم) كمحرك و محفز لرعيته في أداء مهامهم ، لكن في ضمنها هو تبييد وتدنيس عقل الإنسان وتركه راكضا وراء تلبية رغبته الجنسية ، وحصره ضمن هذه المتعة الإباحية التي أبعدته عن شؤون الحياة ، ليتجه جلالته ومجلسه السري في تنفيذ مخططهم السري للوصول إلى بناء دولته العالمية وفقا لشعار التطهير وما يقابله من تدنيس في بنيته التحتية.

لم تقف هذه الحملة عند حد السياسة بل كان لها أثر عسكري من خلال تأسيس جيوش مدبّرة ومنظّمة مهمتها مراقبة العالم خلال تأدية المهام ، مع حماية الدولة والأب الأعظم ، كما تمّ اختيار صفوة الجنود الأكثر وحشية لإعدادهم في حالات الطوارئ ، و إنشاء المراكز العسكرية والتي لا تعمل على الإعداد العسكري لهم لأنهم أخذوا هذا في المدارس الأولى ، لكن غايتها الضمنية هو تحضيرهم روحيا من أجل تقديم الطاعة والولاء له ، ولبرمجتهم وجعلهم آلة تنفّذ ما يُطلب منهم .

وبما أنّ التطهير مسّ جوانب الحياة بما فيها الدّين، فقد دُمرت كل الكنائس والمساجد والمعابد وحُطِّم كل شيء له صلة بأيّ ديانة ، ليحلّ مكانها ديانة موحدة (ديانة الأب الأعظم) وإنشاء بيت للعبادة خاص بجلالته، أين تُقدّم فيه الاعترافات بالذنوب والخطايا أمام جلالته ليغفر ذنوبهم .

إنّ هذا الدّين المقدّس في الدولة العالمية الموحدة ، والقائم على الطّبقية وتقسيم الشعوب والتفريق بينها ، والمؤيد لسياسة الدولة ، دولة كان شعارها الإباحية ، فأى عملية تطهيرية هذه !! إنّها تدنيس للأمة بضرب الديانات ، وإتباعها لدين (الأب الأعظم) الذي استقطب الرعية بفتحه مجال الجنس والإباحية ، والتحرر من قيود أي ميثاق ديني أو أخلاقي وهذا في قول

(جلالته الأب الأعظم) : " إذن عرفتم الآن لماذا دمرنا الكنائس والمساجد والمعابد ، وحطمنا الأصنام والتماثيل والنصب .. و لسنا كما يفهم البعض ملحدين لا نؤمن بشيء ، ولكن نحن مؤمنون بجلالتنا ، وأبوتنا العامة للناس أجمعين .. فالدين الذي نقدمه للعامة الآن ، دين ينبت من قراراتنا ..دين تعرفه النفوس معرفة حقة"¹.

لقد سعت عملية التطهير إلى تدنيس البشرية في أساسها الفكري والتربوي بنبذ كل الثقافات وإحراق الكتب السماوية ، وطمس كل المعتقدات ، وتقديم الكتاب المقدس الجديد الذي يحمل في خطوطه الرئيسية بنود تربوية خاصة بكل طبقة وفي كل طور من أطوارها ماعدا الطبقة الأخيرة التي حُرمت من التعليم كطبقة خادمة للأرض التي مثلت طبقة العرب.

إنّ الانتصار لمبدأ (التطهير)الذي وصل إليه (الأب الأعظم) كان في بدايته يحمل إفرزات لتدنيس العالم والبشرية على مستوى قواعد الحياة ،وطمس كل ما تعلق بها من أفكار وتاريخ وعادات وديانات ،ومسح الأقاليم والحدود.

فعملية التطهير ما هي إلا آلية من آليات تأسيس الدولة الموحدة والتي يقابلها الهدم وتدنيس الديانات والمعتقدات والمجتمعات ، وتحقق ذلك بالاستعانة بالوسائل التكنولوجية وهذا ما نقله لنا (حبيب مونسي)من خلال مخيّلاته في استشراف المستقبل انطلاقا من تبعية الإنسان ولهفته المستمرة وراء التطور العلمي و التكنولوجي ، واعتماده عليها في حياته بصورة لصيقة دون أن يستشعر مصدر هذا التطور، وغايته ، متناسيا بذلك هويته الشخصية والدينية ، إلى أن يقع في فخ الماسونية ذلك الجانب المسكوت عنه والمضمر في المتن السردي ، و التي كان معتقدها وهدفها الأساس "هدم المبادئ الأخلاقية والمثل العليا والمبادئ الفكرية والعقائد الدينية ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد ، وذلك عن طريق ما يسمّى بالسينتولوجيا، وهي إحدى مظاهر الماسوني التطبيقية، والتي تعتمد على أسس يهودية ، وفلسفة علمانية تفكيكية لتحقيق ما سبق، حيث؛ تبدأ بغسل العقول من أجل نسيان الماضي وعقائده، ثم فرض ممارسة

¹ الرواية ، ص :61.

طقوس الاستماع الديني الخاص بالماسونية، والإيمان بها¹، لقد تقنعت هذه الغاية وراء مصطلح التطهير الذي وضعه (حبيب مونسي) في روايته، وكأنه بذلك يقوم بتبنيها لكل ما هو مستجد في حياتنا، والاستعداد لأي إجراء في المستقبل، فالغاية منه تناقض في كثير من الأحيان ما يُظهره القول و الفعل؛ مثلما ما قدّم الثنائية (المقدس/ المدنس) بلغة جديدة في رواية الخيال العلمي، وبخطاب.

2 - الماسونية المحفل الشيطاني الخفي في برتوكولات دولة الأب الأعظم :

إنّ انتماء رواية (جلالته الأب الأعظم) لأدب الخيال العلمي جعلها تركز على رؤية مستقبلية في تخطّيها لزمان الحاضر واستشرافها لزمان مستقبلي غيبي لا تتركه المدارك العقلية للإنسان لا من خلال المخيلة اعتمادا على رؤية علمية وعقائدية وسياسية وفلسفية؛ لذلك نجد (حبيب مونسي) متوغلا في كثير من المعتقدات والمفاهيم الضاربة في عمق التاريخ وصولا إلى جذور الماسونية التي كانت وراء بناء النظام العالمي الجديد المؤسس بإستراتيجية مراوغة بين التطهير والتدنيس لركائز المجتمعات والإنسانية.

لم يقف الروائي عند هذا الكشف، بل تعداه إلى أكثر من ذلك من خلال عرض رموز الماسونية وشفراتها التي عمل على تحويرها وتزييفها بما يتلاءم مع مجريات الأحداث للخطاب الروائي؛ وهذا النقل النوعي والمنسجم بشكل فني وراقي في العمل الروائي لا يكون إلا عن وعي مقصود من المؤلف يلاءم به أوضاع البشرية للدولة العالمية الموحدة في استشراف المتخيل السردية، منطلقا من زمن الماضي والحاضر. وعليه فإنّ الرموز، و الشيفرات والشخصيات، والأرقام، وحتى السلوكات التي جعلها الكاتب في نصّه، وكانت ضمن برتوكولات دولة (جلالته الأب الأعظم)؛ التي تعبّر عن معتقدات، وطقوس ومبادئ خاصة بفكر معين، أو منظمة خاصة هو الأمر الذي انطبق مع الفكر الماسوني اليهودي الذي كان يُعرف بعدة من الرموز والطقوس الدينية، التي عملت على تحويلها إلى برنامج سياسي يُضمّر

¹ خالد علي عياس القط، دلالات الرموز والأرقام المقدسة في الفكر الماسوني، ص: 205

تلك الغاية الدينية التي تتمركز في سيطرة اليهود على العالم. وعليه كانت روايتنا محمّلة بالعديد من الرموز والشيفرات الموحية في مضمورها للفكر الماسوني، ونعرضها كآتي:

2- 1 الرجل المعجزة / المسيح المنتظر:

لقد صنع (حبيب مونسي) في روايته (جلالته الأب الأعظم) فضاء كشف فيه شرور ولؤم الماسونية كمنظمة يهودية ضاربة بجذورها في الماضي السحيق، وما تسعى له مستقبلا للسيطرة على العالم، فهو نقلنا في رؤيته الاستشرافية لحال العالم إلى عام 2026 وبناء على معتقدات دينية أو أسطورية في صناعة أبطال روايته وصياغة الأحداث بأسلوب مميز وفق خط زمني يعيش فيه الماضي والحاضر والمستقبل.

من هذه الزاوية كان توظيف شخصية (الرجل المعجزة) تحمل بنية دلالية عميقة تضرر أبعاد عقائدية سياسية تحيلنا إلى الفكر اليهودي أو الماسوني؛ فشخصية (الرجل المعجزة) هي الشخصية المنتظرة من طرف البشرية لتخليصها من آلام الواقع الذي عايشه أصحاب الرسائل الانتحارية المقدمة للمتن الحكائي، وبهذا كان ظهورها في الرسالة الانتحارية الخامسة والأخيرة " لقد ظهر الرجل المعجزة ..الرجل الذي يحدث الانقلاب المرتجى .. الرجل الذي يخلص البشرية مما هي فيه .. (...) فإذا بالرجل المعجزة يطل من أرض فارس حاملا راية الإصلاح، يهدي الأمم الضائعة بفيض من العلم غزير، وحكمة بالغة، تمزج بين التطور التكنولوجي والهدف الأسمى للإنسانية"¹.

إنها الشخصية التي غيرت مجرى العالم ببناء الدولة الموحدة مستعينة في ذلك بالعقل الجبار (الآلة) الذي سنّ تلك القوانين الخاصة بالدولة في جميع هياكلها، وجعله تحت رقابته، ولأنه الرجل المخلص للبشرية من عالم السيد والمسود والمحرّر من سجن الديانات القائمة في الكنائس والمساجد إلى عالم الحرية والانفلات والإباحة، والمتسامح لأي اعترافات خطايا مقترفة فإنّ جمعاء البشرية مقتادة تحت قداسة يده المباركة، مؤمنة بدياناته ومخلصة

¹ الرواية، ص: 40.

لولائه وطاعته ولسياسية دولته. إنّ هذا النسق الظاهر مع شخصية (الرجل المعجزة)؛ الرجل المؤسس والبنّاء للعهد الجديد، الرجل المخلّص توحى لنا في باطنها وفي مدلول أعمالها وأفكارها إلى تخطيط سابق لبناء الدولة الموحدة والتي من وراءه هو بعث الماسونية تلك المنظمة اليهودية التي تسعى سرا لنشر سيطرتها بكل نفوذها من خلال إقامة عالمها الجديد والقضاء على العهد القديم بغسل العقول وتطهيرها من تاريخها وعقائدها ومبادئها والذي سيكون على يد (المسيح المنتظر) الذي كان مقنعا في خطابنا الروائي بشخصية (الرجل المعجزة) فالمسيح المنتظر أو (المسيح المخلّص) أو "ما يسمى عند اليهود (بالمسيح) وهي كلمة عبرية تعني (المسيح المخلّص)، ومنها (مسيحيوت) أي (المسيحانية)، وهي الاعتقاد بمجيء الماشيخ، والكلمة مشتقة من الكلمة العبرية (مشح) أي (مسح) بالزيت المقدّس، وقد كان اليهود على عادة الشعوب القديمة، يمسحون رأس الملك والكاهن بالزيت قبل تنصيبهما علامة على المكانة الخاصة الجديدة، وعلامة على أن الروح الإلهية أصبحت تحل وتسري فيهما....¹ لهذا فشخصية (الرجل المعجزة) والمسماة (بالأب الأعظم) في الرواية تقترب مع المسيح المنتظر عند القداسة الموهوبة لهما والخاضع لها جميع الأمة من حكامها إلى رعيتها، المستقطبة للبشرية والمعبّئة للعقول بالمثل المقدّسة ظاهرا والمدنّسة ضمنا وهذا الرصد نجده ضمن حيثيات الرسالة الانتحارية الخامسة "وها أنا ذا أعرض نفسي عليه - كما تفعل الملايين - خدمة للخلاص، كما عرضتها من قبل خدمة للدمار والانتقام... ميزرا... طهران

2

لقد قادنا (حبيب موني) في نقلته الاستشراقية المميّزة بواسطة شخصية الرجل المعجزة إلى عالم الخلاص والسكينة للبشرية، وهو من معتقدات الفكر الماسوني اليهودي "ظهور المسيح

¹ خالد عبد الرحمان، المسيح الدجال في اليهودية، المدونة المصرية، الموقع

<https://kemetiansite.wordpress.com>، تاريخ النشر: 01/02/2020، تاريخ الاطلاع: 01/05/2022،

التوقيت 21:00

² الرواية، ص: 41.

المخلّص في آخر الزمان ليعود بشعبه إلى أرض الميعاد ويحكم العالم من أرض صهيون ليسود العدل والإخاء"¹.

إنّ هذا الفكر الذي طرحه (حبيب مونسي) هو موجود حقيقة في معتقدات الشعوب؛ فهو بذلك يذكّرنا، وفي الوقت نفسه يحذّرنا مما هو قادم من المستقبل، وخطر على مصير الإنسانية تحت رحمة التكنولوجيا أو الآلة - كما جاء في النص الروائي - التي كانت من آليات الرجل المخلّص في فرض هيمنته، وسلطته على جمعاء الأمة.

ومنه سيكون للماسونية الدولة الخفية سيادة على العالم بخلقها لهذا الرجل المعجزة المنتظر في عقيدتهم، الذي سيجمع البشرية في منصة واحدة باستغلال وسائل الإعلام والاتصال في أحدث تقنياتها، ومحو الإنسانية بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ وإحلال مكانها الإنسان الآلة، وبذلك تُمرر السياسة العقائدية للدولة الخفية الموحدة.

هكذا استطاع (حبيب مونسي) أن يكشف ذلك البعد السياسي المضمّر تحت رمزية الثنائية (الرجل المعجزة / المسيح المنتظر) في بناء دولة (جلالته الأب الأعظم)، وهذا انطلاقاً من مرجعيته الثقافية المكتسبة، وحده الفكر، وتأمله الاستشراقي العلمي لمصير الإنسان تحت نظام هذه الدولة العالمية، وبتلك النقلة المميّزة للمعتقدات المقدّسة للماسونية في هذا المتخيّل السردى العلمي.

2-2 الهيكل المادي والروحي :

لم تقف مخيّل الروائي لاستشراف المستقبل في ظل النظام العالمي الجديد وليد الدولة الخفية الماسونية، بل تعدت إلى عرض أدق التفاصيل والجزئيات الضمنية للوجه السياسي لها والمتمثّل في هيكلها المادي والروحي المتضمن طقوس الانتماء، والشيفرات المقدّسة عندها

¹ ينظر، خالد علي عباس القط، مقال دلالات الرموز والأرقام المقدّسة في الفكر الماسوني، ص: 209.

والتي تعتبر مجهولة عند العامة معروفة عند المنتسبين إليها في دلالاتها الروحية العقائدية للفكر الماسوني .

ومنه فإن رواية (جلالته الأب الأعظم) كانت تحمل في خفايا لغتها ،ومشاهدها السردية ما يدلُّ عن الماسونية في جميع نواحيها وطقوسها العقائدية السياسية ،والتي ما تتضح عند المتلقي إلا بالغوص عميقا في أصول المجتمعات وثقافتها ، ومعتقداتها ، وعاداتها، وهذا ما ينطوي تحت عمل التحليل الثقافي للنص السردى لاستشفاف ضمنية الرموز والشيفرات الواردة فيه ونوضحها كالآتي :

أ - التثليث المقدس في (العالم الافتراضي للمتحيل السردى/ الفكر الماسوني) :

احتلت هذه الشيفرة مكانة بارزة في المتن الروائي لاقتربها بالشخصيات ، أو كصفة مقترنة لأشكال أو بناءات في الفضاء المكاني للمشاهد السردية ، وكانت في كل مرة تُومىُّ بدلالات وأبعاد لذلك النظام الخفي - الماسونية - المضمرة وراء دولة (الأب الأعظم) .

فكان على الروائي أن يستحضر هذه الشيفرة المقدسة عند الفكر الموسوني في عدّة مشاهد سردية ، فمنها ما يرمز إلى "شعار الماسونية العالمي الحرية والمساواة والإخاء"¹، وهو ما تبناه (الحاكم الأعظم) كمعلم ظاهر من وراء عملية التطهير - السابقة الذكر - لتأسيس الدولة الموحدة ، دولة العدل والمساواة ، أضف إلى ما دلّ عليه في الفضاء المكاني للمتحيل السردى من خلال وصف هيكل القاعة المقدسة لجلالته الرجل المعجزة في : " اشتعلت الأنوار فجأة ، فأضاءت قاعة مثلثة الشكل ، تبدأ بقاعدة طويلة يرتفع عليها جدار تتلاعب فيه الأنوار تلاعبا باهتا في اختلاط عجيب ، تتمازج فيه الألوان حيناً بعد حين . و كأن تسلسلها لا ينتهي أبداً، فإذا مرّ لون أعقبه لون آخر يختلف عنه قليلاً ولا يشابهه أبداً (...) أما الجدران اللذان يشكلان ضلعي المثلث فلا يختلفان عن الجدران العادية (...) بل يندفعان في تطاول

¹ خالد علي عباس القط ، دلالات الرموز والأرقام المقدسة في الفكر الماسوني ، ص : 234.

إلى بداية جديدة لعالم مجهول"¹؛ وهذا ما يُعرف في المعتقد الماسوني بشعار المحفل الماسوني (الهيكل) ، الذي أخذ عن الحضارات القديمة لبلاد الرافدين والفرعونية والذي يرمز عندهم إلى " البيت الكبير الضروري لسكن الآلهة ، فإذا كانت السماء مكان إقامة الآلهة ومكمن الأسرار المقدّسة، فإذا رغبت النزول إلى الأرض فلا تكون إقامتها إلاّ في بيوت كبيرة تليق بها ألا وهي الهيكل ، وهو مكون من: المذبح المقدّس، والنصب المقدّسة، والأعمدة المقدّسة والحجرات المقدّسة"²، لكنّ عند الماسونية تمثّل " في هيكل اليهود هيكل النبي سليمان، والذي بناه حيرام السوري، وهو روح الماسونية الصهيونية اليهودية العالمية"³.

فهذا الفضاء المكاني الذي تبناه (حبيب مونسي) في تصويره لمعبد (جلالته الأب الأعظم) يُضمر في باطنه مدلولاً للكيان المؤسّساتي لنظام الدولة الخفية الماسونية اليهودية ، ناهيك عن شكل الهرم الذي انبثق من الوصف الثلاثي في مساحة القاعة وحدودها ، والذي بدوره له أبعاد أيديولوجية ترمي إلى "حكم ديكتاتوري سياسي اقتصادي تتولاه حكومة عالمية على نمط الأمم المتحدة"⁴.

تجسّدت شيفرة التثليث أيضا في برتوكولات سياسة (الأب الأعظم) في المشهد الروائي : " لقد قسمنا الدولة إلى ثلاثة وثلاثين قطاعا ، وجعلنا على كل مقاطعة حكيمًا "⁵ ومن خلال لقاءه مع مجلسه في الإيحاءات السردية الآتية " مالت الرؤوس الثلاثة والثلاثين في رفق "⁶، وفي " قام الثلاث و الثلاثون في وقفة واحدة "⁷ ؛ وهذا التوظيف لشيفرة التثليث لم يكن عن غير قصد من حبيب مونسي ، فإذا كانت روايته تستشرف واقع المستقبل تحت

¹ الرواية ، ص : 53

² خالد علي عباس القط ، دلالات الرموز والأرقام المقدسة في الفكر الماسوني ، ص : 213

³ ينظر، المرجع نفسه ، ص : 210.

⁵ الرواية ، ص : 60.

⁶ الرواية ، ص : 54.

⁷ الرواية ، ص : 55.

سلطة الماسونية البارزة بالنظام العالمي الجديد الموحد ، فإنّ رقم ثلاثة وثلاثين له دلالة ضمن أساسيات الماسوني وترقيته من رتبة إلى رتبة " يرتبط الرقم (33) ارتباطاً وثيقاً بحديث الماسونية عن درجات ترقى الماسوني إلى أعلى درجات الماسونية المعروفة باسم المفتش العام الأعظم المستقل الأستاذ الأعظم"¹.

لقد رسمت مخيِّلة (حبيب مونسي) التنبؤيّة عالم الواقع الخفي - دولة الأب الأعظم - بمؤسّساته السياسية وما ترمي له من أبعاد فكرية عقائدية أصولها في الماضي ، وفقاً لذلك الهيكل المادي المؤسّس من طرف المنتمين لها ، والمنبثق بوسائل الإعلام و الاتصال في جميع الهياكل والمنظمات العالمية ؛ من شيفرات تخص الرقم الثلاثي الذي يدلّ روحياً على القداسة عند الفكر الماسوني اليهودي ، لفرض سيادتهم واستمرار مخطّطهم في بناء عالمهم مستقبلاً.

ب - طقوس الانتماء والولاء لـ : (حاكم الدولة العالمية الموحدة / الماسونية):

استمت رواية (الخطر الآتي من المستقبل) بذلك التصوير المميّز لسلطة حكومة الدولة الخفية لعالم الغد في أدق تفاصيلها ضمن المشاهد السردية ، والمتعلقة بتلك السلوكات والأفعال والأقوال التي كانت بمثابة شعائر رسمية وموحدة في حكومة الحاكم (الأب الأعظم) .

إنّ هذه الشعائر المقدّسة والمفهومة بين المنتسبين لهذا النظام الجديد، ترسم في مدلولها العميق سبيل الانتماء الروحي والسياسي إلى تلك المنظمة السرية للدولة الموحدة الماسونية التي تعتمد في فرض سلطتها وسيادتها في العالم بتوحيد أعضائها تحت رايتها ؛ ويكون هذا بإتباعهم لتعاليم ، وطقوس سرية معلومة عندهم؛ تمثّلت في الحركات الجسدية، واللباس والألوان ، والوحدة في أداء المهام .

هذا ما جسّده الروائي في مخيّلته لبناء عالمه المستقبلي باستقطابه لتلك الطقوس والنواميس الخاصة بالمنظمة السرية و لباسها لحكومة (الرجل المعجزة) ، و اتضح هذا في: " وتدفق

¹ خالد علي عباس القط ، دلالات الرموز والأرقام المقدسة في الفكر الماسوني ، ص : 239

في قلب القاعة سيل من الشخصيات، يتبع الواحد منهم الآخر في صمت وسط جلابيب بيضاء تكسوهم جملة ، مشكلة ضلالا كثيفة على ملامحهم ، وقد غابت أيديهم في أكمام فضفاضة تختلط بتلايف الجلابب¹، فالوصف السردي يبيّن لنا مدى رسمية الحضور مع الحاكم الأعلى لدى جميع حكام المقاطعات وامتثالهم لهذه الرسميات من خلال التوحيد في ارتداء اللباس الأبيض - الجلابب الأبيض - و الذي في مضمونه " يرمز إلى شعار المنزر والقفاز الأبيض عند الماسونيين ومدلوله النقاء، والطهارة في الفكر والعمل، والالتزام نحو الجماعة التي ينتمي لها"².

وتجسّد أيضا هذا الإخلاص والتفاني في العمل والانتماء لسياسة الحاكم من خلال تلك التحية للحكام في الوقفة السردية: " في صمت وحركة آلية توجّه كل واحد منهم إلى مقعده ووقف عنده، ثمّ رفع يديه إلى صدره وبسط كفه على قلبه"³، والتي توجي إلى الولاء والطاعة والإخلاص من القلب عند الماسوني " المقتبسة في فكرهم من الحضارات المصرية والتي ترى أن القلب هو دليل التفاني ، وفي الهندوسية يقال إن الكون كله متمركز في القلب"⁴.

لم تقف شعائر الماسونية الخفية عند الحركات الجسدية وهندام المنتسب لها في دولة الأب الأعظم ، بل كانت متسترة في ضمنية المشهد السردي " وقام الثلاثة والثلاثون في وقفة واحدة ، وكأنهم مصابيح بشرية يلتقي ضوءهم في دائرة واحدة في قلب الطاولة على كرة زجاجية محببة السطح لتشتعل نارا لا يهتز لهيبتها .."⁵، من خلال تقديس أعضاء المجلس لحكومة الرجل المعجزة لتلك الكرة الزجاجية المضيئة ، الممدّة لهم بالطاقة والمغذية لنفسها من خلال رصد لعقولهم ،وحواسهم الفكرية، والنفسية ،والتي كانت عبارة عن العين الرقبية للحاكم

¹ الرواية ، ص: 54

² ينظر خالد علي عباس القط ، دلالات الرموز والأرقام المقدسة في الفكر الماسوني ، ص: 215

³ الرواية ص : 54

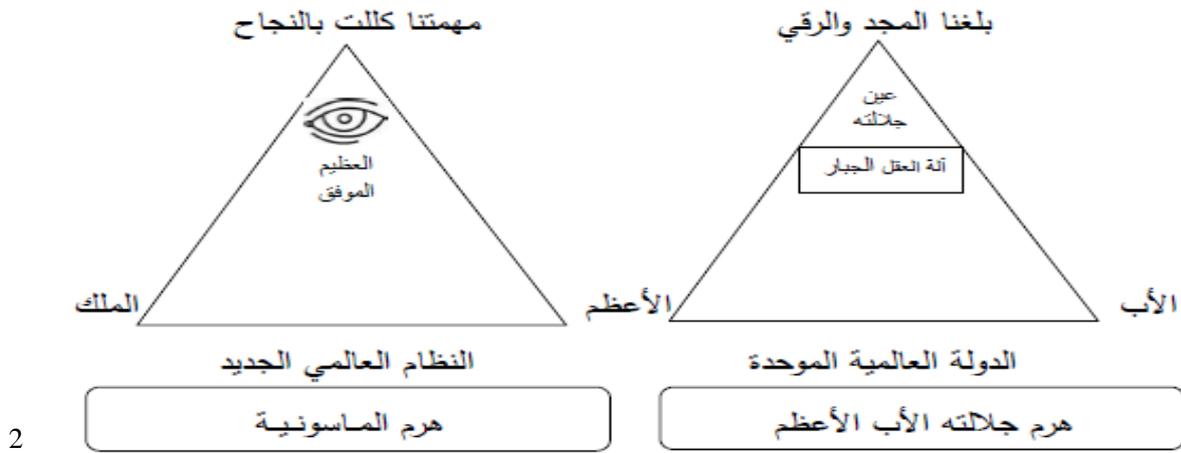
⁴ ماريان أبو نجم ، إشارات الماسونية باليد بالصور .. ومعانيها ، آخر تحديث 18 اوت 2021، 19:02، عن الموقع

<https://www.almsal.com/post/1105853> ، تاريخ الاطلاع : 25/05/2022 ، التوقيت : 20:19

الرواية ، ص : 55⁵

والموجودة في جميع الدولة كونها آلة العقل الجبار ؛ التي هي نفسها من اختراع البشرية وهذا الفكر يحيلنا إلى "شعار العين التي ترى كل شيء المقدسة لدى الماسونيين كونها العين البصيرة الموجودة في كل مكان والتي تحيط بكل صغيرة وكبيرة والتي ترمز إلى وكالة التجسس والإرهابية ، والموجودة كشعار في العديد من الشركات الاتصالية العالمية"¹.

إنّ هذه الشعائر والطقوس المضمرّة في النص الروائي لمنظمة الماسونية، هي موجودة فعلا في الواقع لكن بأساليب مموّهة وغامضة معلومة عند المنتمين لها ، فكان على الكاتب أن يحملها في العالم الغيبي لمتخيّله السردى بطريقة تناسب حيثيات الأحداث وتطورها ؛حتى يكشف لنا خبايا هذه المنظمة وغايتها في بناء العالم الموحد الذي سيكون تحت سيادة اليهود وعقيدتهم ، والشكل أدناه يوضح أوجه التقارب بين الدولة العالمية الموحدة لـ (جلالته الأب الأعظم) والنظام العالمي الجديد (الماسونية) :



لقد حاول (حبيب مونسي) أن يخلق من خلال روايته (جلالته الأب الأعظم) عالماً مشبّعاً بكل التفاصيل والجزئيات الغامضة والخفيّة الممزوجة بالخطر في أبعادها الضمنية وذلك بغوصه في أعماق وخفايا الماسونية ، لإمطاة اللثام عن هيكلها المادي والروحي بنقل

¹ ينظر خالد علي عباس القط ، دلالات الرموز والأرقام المقدسة في الفكر الماسوني ، ص: 218

² فوزية تقار ، الإيديولوجيا والبنى الفنية في أعمال "حبيب مونسي" _ دراسة سوسيوثقافية _ ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب واللغات ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، السنة 2017/2018 ، ص: 67.

طقوسها ، وشيفراتها إلى المتن الروائي بشكل فني مميز، وبأسلوب مشوّق ومقنع ، وبناء متين للمشاهد السردية ، ليبرز نواياها الفكرية والعقائدية المضمرة في سياستها من وراء بناء النظام العالمي الجديد الذي تسييره التكنولوجيا في أحدث تقنياتها. وسائل الإعلام والاتصال في نقلة تنبؤية بلمسة المتخيّل العلمي .

لقد حملت الرواية بنقلتها التنبؤية وبللمسة المتخيّل العلمي أنساقا مضمرة في وجهها السياسي ، ترمي بأبعاد إيديولوجية لتوجّه ماسوني الفكرة والعقيدة ، وكأنّ القصد موجود في بداية الكتابة عند الروائي للإيحاء إلى هذه الأبعاد متكئاً في ذلك على مرجعيته الثقافية و رؤيته للواقع وما يحمله من تنبؤات خطيرة حول مصير الإنسان تحت هذا النظام العالمي الموحد ، فهو بذلك أراد أن يصل إلى تلك الغاية التي يجعل فيها المتلقي يشعر بالخطر القادم من المستقبل ويفتح بصيرته على كل جديد يأتي به هذا النظام .

من هنا نقول إن (حبيب مونسي) حمل في روايته الاستشراافية تلك الرسالة الأبية التوعوية للنهوض بالبشرية والتفطن لحالها، ومصيرها في المستقبل ، في لغة وتركيب سردي غير المألوف في الرواية العادية .

ثانيا - الأنساق الدينية في رواية (جلالته الأب الأعظم) - " حبيب مونسي " :

النسق الديني هو عبارة حاوية للفروع والجزئيات والتفاصيل من اعتقادات وأقوال وأفعال بحيث تساهم مجتمعة في إبراز خصائص ومميزات دين معين ويعبر الشخص بتمثله لهذه الجزئيات والفروع عن انتمائه لدين ما ، سواء كان إسلاميا أو يهوديا أو نصرانياالخ.¹

فأرس كل ثقافة هو الدين بمعناه العام ، والذي هو فطرة الإنسان التي جبل عليها . أي دين كان أو ما كان في معنى الدين .² وهذه الرواية حوت العديد من الأنساق الدينية ، فكيف وظف الراوي النسق الديني ؟ وما هي تمظهراته في المتن الحكائي؟

1 - الحضور الديني الاستشراقي في متخيل (حبيب مونسي):

إتكأ (مونسي) على مرجعية دينية لينجز رسالة تبليغية تحقق هدفا إنسانيا ينسجم مع الفطرة الإنسانية السليمة ، فانطلق من منظور ورؤية دينية في بناء أفكاره التي شكّلت أحداث الرواية .

فتبدأ حركة السرد بمقدمة تمهد للحديث عن مستقبل البشرية الفاجع ، في قالب خيالي استشراقي لما ستؤول إليه البشرية بسبب التقدم التكنولوجي الذي يشهده العالم يوما بعد يوم وهذه المقدمة في شكل رسائل واعترافات كتبتها شخصيات عالقة في عدمية الراهن وتعيش خيبة أمل تجاه المستقبل ، وقد أفصحت هذه الرسائل عما بلغه العالم من انحطاط قيمي وأخلاقي ونفسي ، فأمسى الانتحار خيارا وحيدا أمام هذه الشخصيات التي تعكس خوف الإنسان المعاصر من المستقبل .

¹ ينظر ، عبد الرحيم بوشاقور ، حبيب بوسفاذي ، حضور النسق الديني في الرواية الجزائرية (مقارنة ثقافية لرواية "مملكة الزبوان" للصديق حاج أحمد) ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ، عين تيموشنت ، مج12 ، العدد 03 ، ت 30/11/2020 ، ص :395.

² محمود محمد شاكر ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، مكتبة الأسرة ، مصر ، (د . ط) ، 1997 ، ص:31.

فبعد إعترافهم بالخطيئة في حقّ العالم ، كان الانتحار سبيلهم للهروب من مواجهة الخطر القادم من المستقبل ، وبينما يتخبط العالم أجمع في أزماته السياسية والاجتماعية والاقتصادية يخرج عليهم الرجل المعجزة ، الذي سيخلص البشرية من النذل والهوان ومن القديم والماضي ، ليتحول الإنسان إلى آلة مبرمجة تحت تأثير الآلة الأم (العقل الجبار) والتي يسيرها ويتحكم فيها (الرجل المعجزة) فيحدث به تغييرا جذريا للبشرية جمعاء .

وفي هذا الجانب تضمنت الرواية عدة أنساق دينية منها الظاهرة ومنها المضمرة ، عمد (حبيب مونسي) إلى إخفائها ليتمكن القارئ من مقاربتها وإخراجها إلى السطح عبر قراءة حكيمة للنص ، والتي سنحاول تقديمها في الآتي :

1- 1 الأعرور الدجال الخطر الآتي من المستقبل :

تأخذ رواية "جلالته الأب الأعظم (الخطر الآتي من المستقبل) " بالقارئ لعالم الخيال العلمي لما تحمله من تقنيات العلم والتكنولوجيا ، فينقلنا الزاوي من الحاضر ليحط بنا الرجال في مرجعيات الثقافة الدينية التي أخبرنا بها النبي "صلى الله عليه وسلم " وذلك ما سيكون عليه الوضع في الشرق من فتن وما سيشهده العالم آخر الزمان ، وهذا ما ضمه السرد الزمني المستقبلي كذكر السنوات " 2012، 2018، 2020، 2025، 2026 " ليظهر الرجل المعجزة الذي يكتسح العالم بفتن لم يشهدها أحد ولم يعهدها نظام .

يصفه في قوله " سرى خبر الرجل في أطراف الكرة الأرضية في سرعة عجيبة ، وكأنه النار في الهشيم ، حتى لامس القلوب وطرق أبوابها وفك أقفالها ، وكأن ذكره سحابة عظيمة لفت الأرض وأمطرت في كل شبر منها خبره وقصته (.....) وانقلب الناس في أوطانهم غرباء لا يعرفون من يلونهم بل يتجهون إليه من كل حد وصوب ، اتجاه العابد إلى قبلته " ¹

¹ الرواية ، ص: 42.

يبدو أن متن الرواية يتناص مع حديث (الدجال) الذي يشير إلى إحدى العلامات الكبرى لقيام الساعة ، ولأن بنية الرواية تتقاطع مع بنية هذا الحديث ، فقد حاول من خلاله (مونسي) أن يقدم قراءة استشرافية لمستقبل العالم .

من خلال استحضار (مونسي) لقصة (الدجال) ، فهو بذلك يتقاطع مع النص الديني عن طريق التناص ؛ الذي "هو استعارة نص سابق لاستكمال نص حاضر يشكل في النهاية قطبا دلاليا يفي بتقديم الخبر المقصود حاضرا ، فالتناص على مستوى الكتابة نص تراكبي جزءا منصوص كالمشبه به ، لا تفهم طبيعة المشبه إلا به ، لأن النص المعين (المقروء) لا يمكن فهمه دون الرجوع إلى عشرات النصوص التي سبقت وأسهمت في خلقه"¹ . وهذا ما نحن بصدده ، للكشف عن النصوص التي تقاطعت معها رواية (جلالته الأب الأعظم) والتي تأخذ أبعادًا استشرافية مستقبلية ، مُستوحاة من الواقع الديني التاريخي .

فمن الأنساق الدالة على النقل الصحيح من " السنة " ما يمكن إستقرأؤه من خلال المتن الحكائي ، فقد تماثلت شخصية (المسيح الدجال) مع شخصية (جلالته) في مجموعة من العناصر التي تلفت انتباه أي قارئ للرواية مستذكرا من خلالها أحاديث الفتنة الخاصة بالدجال والتي جاءت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم محذرا الناس منها ، ومن بينها :

أ - التماثل في مكان الخروج :

إذ جاء في الرسالة الخامسة التي كتبها ميزرا من طهران قبل انتحاره فيقول: " لقد ظهر الرجل المعجزة ... الرجل الذي يحدث الانقلاب المرتجى ... الرجل الذي يخلص البشرية ممّا هي فيه ... تطايرت الأخبار إلي و أنا في حيرتي وشردي أراجع مقالات والدي ، وأتصفح نشرات المجمع فإذا بالرجل المعجزة يطل من أرض فارس حاملا راية الصلاح ، يهدي الأمم

¹ فيصل الأحمر ، حادثة الخطاب في أدب الخيال العلمي الجزائري ، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر، العدد الخامس، جوان 2009، ص :182.

الضائعة بفيض من العلم غزير ، وحكمة بالغة ، تمزج بين التطور التكنولوجي والهدف الأسمى للإنسانية " ¹ .

فقد جمّد (مونسي) في هذا المقطع حقيقة خروج الدجال من إيران " يُطلُّ من أرض فارس حاملا راية الصلاح " .

تماما كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الدجال يخرج من أرض بالمشرق يُقال لها خُراسان " ² .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال (رسول الله صلى الله عليه وسلم) : " يخرج الدجال من يَهُودِيَّةٍ أَصْبَهَانَ معه سبعون ألفا من اليهود عليهم الطَّيَالِسَةُ " ³ .

ومنه فإنَّ كلَّ من (جلالته) و(الدَّجال) يخرجان من مكان واحد ؛ (فجلالته) ظهر في أرض فارس وهي الإسم القديم لدولة (إيران) ، أما في الحديث فنذكر أن (الدجال) سيخرج من المشرق وتحديدا من (خُراسان) وهي مدينة كبيرة تقع في (إيران) ، وذكر في موضع آخر قد تكون بداية ظهوره من (أَصْبَهَانَ) وهي أيضا بلدة فارسيَّة معروفة في إيران ، فهنا تشاركنا في مكان الخروج كل منهما .

ب - التماثل في الصفات الخلقية :

أمّا عن صفات كلِّ من (جلالته) و (الدجال) فقد كانت مشتركة ، فجاءت صفات (جلالته) في عديد من المواضع في الرواية وعلى ألسن العديد من شخصياتها ، بدأ برسالة

¹ الرواية ، ص:40.

² محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير ، مجلد 1 ، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط 3 ، 1988 ، ص: 640.

³ المصدر نفسه ، ص: 936.

(ميزرا) حين قال : " ولما نظرت في وجهه... رأيت شكلا كأنه اللّعة في وجه الدنيا ... لعنة في وجه القيم والموازين . فالرجل قصير القامة ، أسمر اللون دميم الخلقة ، أعور " ¹. وجاء في موضع آخر من الرواية على لسان الراوي " كان الرجل بين الممتلئ والنحيل ، قصير القامة ، تميل قسماته إلى السمرة ، بل إلى الدمامة " ²

ونتأكد من صفاته مرة أخرى لما جاء في مذيبة الوصيفة (إشتار) لصورة (جلالته) :

" ترى الرجل القصير ، الأسمر الدميم الأعور " ³

فكان الوصف مطابقا تماما لما ذكره نبينا صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة ومنها الحديث المروى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال رسول الله صلى عليه وسلم : " إني قد حدثكم عن الدجال حتى خشيت ألا تعقلوا ، إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين " ⁴

فكل هذه الصفات تشاركها الدجال مع جلالته ، في القبح والدمامة .

ج - التماثل في سرعة الانتشار :

أمّا عن خروج (جلالته) وسرعة انتشاره في الأرض ؛ فقد جاء في الرواية أنه قد انتشر خبره بسرعة عجيبة فسيطر على عقول وقلوب الناس " سرى خبر الرجل في أطراف الكرة الأرضية في سرعة عجيبة وكأنه النار في الهشيم ، حتى لامس القلوب وطرق أبوابها ، وفكّ أقالها ، وكأن ذكره سحابة عظيمة لفت الأرض وأمطرت في كل شبر منها خبره وقصته وزادت على ذلك أن أنبتت في القلوب نباتها ، سُرعان ما تحول إلى شيء من الإعجاب تبدلت مركباته

¹ الرواية ، ص: 41.

² الرواية ، ص: 56.

³ الرواية ، ص: 72.

⁴ محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير ، مجلد 1 ، ص 483.

إلى شيء من الحب خالطه نوع من الانصياع والطاعة (...) وهم بين الرغبة والرغبة يستشعرون حلاوة الإقبال عليه " ¹.

فقد تماهت هذه الأسطر من الرواية مع الحديث النبوي في خبر خروج (الذجال) "حدثنا عبد الرحمان بن جبير بن نفيير عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم "الذجال" ذات غداة (...). قلنا يا رسول الله وما إسرعه في الأرض ؟ كالغيث استدبرته الرياح ، فيأتي القوم فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبون له " ².

انتشر خبر هذا الرجل المعجزة (جلالته) بسرعة عجيبة في الأرض كما هو الحال الذي سيأتي عليه (الذجال) ، حيث سيكون إسرعه في الأرض كالسحاب الذي تدفعه الرياح بسرعة فيؤمن به الناس ويعجبون به ، فكما انصاعوا (للذجال) في الحديث انصاعوا (لجلالته) في الرواية فكلاهما أثرا على الناس ما إن خرجا ، تأثيرا يجمع بين الرغبة والرغبة .

د - التماثل في ادعاء الربوبية :

إنَّ (جلالته) قد دعا إلى التخلُّص من الأديان والقيم ، وادّعى الربوبية ، فترفع عن الله وأظهر قدراته على تلبية حاجيات الناس وذلك كما جاء في الرواية " لقد عرضنا عليهم وسيلة للعلاج أحب إلى أنفسهم فقلنا تخلصوا من الماضي...تخلصوا مما له صلة بالسلاسل التي تكبلكم...أحرقوا الكتب...أقتلوا الدراويش الذين احتكروا صحبة الخالق...وها نحن في أعينهم أرفع من تلك الصور التي رسموها لأربابهم في أذهانهم "

ويضيف مؤكدا ربوبيته : " لأننا نشير الإشارة الخفيفة فينال الراغب رغبته دون أن يتلفظ بها...إنهم يريدون ربًا من هذا الطراز...وقد قدمنا إليهم الربَّ المطلوب " ³.

¹ الرواية ، ص:42.

² مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، تح رائد بن صبري ، دار الحضارة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط 2 ، 2015 ، ص 931.

³ الرواية ، ص:59.

ف نجد أن كلام (جلالته) تقارب مع حديث أخرجه ابن ماجه والحاكم "عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنني سأصغه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي ، إنه يبدأ فيقول : أنا نبي ، ولا نبي بعدي ، ثم يثني ويقول : أنا ربكم ، ولا ترون ربكم حتى تموتوا ، وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور " ¹.

فالقدرات الخارقة التي أعطاها الله (للدجال) لِفِتْنَةِ الناس واختبارهم ، جعلته يدعي الربوبية ، كما هو الحال مع (جلالته) الذي هو أيضا ادعى الربوبية والألوهية ، فرسم لنفسه صورة الإله وأعطى للعديد رغباتهم دون أن يتلفظوا بها وذلك عن طريق (جسر التخاطر) و(العقل الجبار)؛ لأن هذا ينقلنا إلى الخيال العلمي الذي تنتمي إليه الرواية .

هـ - التماثل في القوم الذين يتبعونه :

أما من اتبع (جلالته) فخلق كثير من كل أنحاء العالم فلقد " تحركت الجموع في حركة واحدة ضخمة صاخبة في كل شبر من أطراف الأرض ، تمزق ستائرهما ، وتقد سلاسلها وأغلالها ، سارت نحو القبلة الجديدة تقدم ولأنها ...وسكنت النزاعات لتتحول إلى جماعات تتألف من جديد ترفع على أعلامها ومنازلها اسم الرجل المعزة ، وقد رسمت له الشعرات الخلابة اعترافا بالجميل وتحولت همة الناس إلى التوحد " ².

وهنا تماهت الرواية مع ما جاء في الأثر في من يتبع (الدجال) "لا ينجو من فِتْنَةِ الدجال إلا اثنا عشر ألف رجل سبعة آلاف امرأة " ³ ، فقد ذكر الحديث أتباع الدجال في العديد من الأحاديث . فتعددت قوة كل من (الدجال) و(جلالته) ، وتتنوع فنتتهما ، واختلفت أساليبيهما في إضلال الناس وإتباعهما ، والإيمان بألوهيتهما .

¹ نداء أبو أحمد ، الدار الآخرة (أشراط الساعة الكبرى -- المسح الدجال) ، شبكة الألوكة www.alukah.net ، ص: 49.

² الرواية ، ص: 45 .

³ أحمد علي بن حجر العسقلاني ، من فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ، المطبعة الكبرى الميرية ، مصر ، ط 1 ، 1301هـ ، ص: 80 .

ثم واصل (مونسي) حديثه عن الجيش النيسوي الذي تبع "جلالته" حين قال : " لقد استطاع الرجل المعجزة أن ينشئ لنفسه حريماً فريداً ، حشد فيه أولاً كل فتاة أرادت أن تهب نفسها لجلالته خلال تقلبه في أطراف الأرض ، وعاد بعد جولته بجيش من الحسنات " ¹

وهذا ينطبق على ما جاء في الحديث النبوي عن اتباع النساء (للدجال) والخروج إليه "عن ابن عمر رضي الله عنهما قالا : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ينزل الدجال (...) فيكون أكثر من يخرج إليه النساء حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه وإلى أمه وإلى ابنته أخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه " ²

والنساء ستتبع (الدجال) كما ورد في الحديث الشريف حيث أن الرجل يرجع إلى نساء بيته ويقيدهن مخافة أن يخرجن ويتبعن الدجال ، كذلك فإن جلالته تماثل مع حديث الدجال في هذا الشأن كون النساء يتبعنه فيشكل جيشاً من الحسنات اللاتي لا يخالفن رأيه ولا رغبته .

فقصة (الدجال) بما تتضمنه من صفات خلقية تتصل به ، ومكان خروجه للناس ومن اتبعه من رجال ونساء وغيرها من المواضيع ؛ كانت المتكئ الأساس الذي بنى عليه (مونسي) أحداث روايته ، فقد عمد إلى التشرب من النصوص الدينية حتى تضفي على الرواية أصالة وتاريخاً ، فلذلك ضمت الرواية أنساقاً دينية مضمرة ؛ والتي نستشف من خلالها ونقلاً عن الأحاديث النبوية الثابتة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كل ما ورد عن (الدجال) من مواصفات وغيرها، منطلقاً في ذلك من الحاضر الذي أصبحت تحكمه الآلة وفي نظرة استشرافية لما سيصبح عليه العالم في ظل التطور التكنولوجي الهائل الذي يشهده العالم مستعملاً في ذلك الخيال العلمي مستعيناً بمرجعيات ثقافية دينية واجتماعية وهذا ما ساعده في نسج أحداث الرواية بإحكام وربطها بالواقع الاجتماعي والعنصر التخيلي الذي تقدمه

¹ - الرواية ، ص: 68.

² - نداء أبو أحمد ، الدار الآخرة (أشراط الساعة الكبرى -- المسح الدجال) ، ص: 57.

الرواية." وهو بهذا جمع بين الفكر العلمي والديني ، ليعطي نصا تجريبيا جديدا وهو الخيال العلمي الإسلامي " ¹

1 - 2 موسى العرب مخلص البشرية :

إن أحداث الرواية "بالرغم من أنها متخيلة استشرافية ، إلا أنها مستوحاة من الواقع الديني التاريخي"² ومن ذلك استحضار الراوي لقصة (فرعون وموسى)، التي ذكرها (المولى عز وجل) في محكم تنزيله، والتي تقابلها في متن الرواية قصة (جلالة الأب الأعظم والفتى موسى).

حيث يستدعي (مونسي) أبعاد ودلالات التاريخ الديني الإنساني ، الذي يمر على القارئ من مختلف مظهراته الثقافية ، مكونا بذلك نسقا دينيا ثقافيا ، وفي هذا يتداعى الحكى على قصة اليهود وديانتهم في حكم فرعون ، وظهور النبي (موسى) - عليه السلام - والدعوة إلى عبادة الإله الواحد ، وربط العلاقة بين العرب واليهود باسترجاع تاريخي يتموضع بين الإنسان والأديان .

فمن التناص مع القصص القرآني نجد قوله عز وجل في سورة القصص " إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين "³ في هذه الآيات يذكر (الله تعالى) أن فرعون علا في الأرض وتجبر وطغى ، وقسم شعبه إلى طوائف أي أقسام يستضعف طائفة منهم وهم بني إسرائيل قوم (موسى) -عليه السلام-

¹ فوزية تقار ، رواية الخيال العلمي بين الواقع الانثوغرافي والتمثيل الافتراضي ،(رواية جلالتة الأب الأعظم) لحبيب مونسي نموذجاً، جامعة حمه لخضر ، الوادي (الجزائر) ،مجلة المرتقي، المجلد 5 ، العدد 1 ،مارس 2022 ، ص: 188

² المرجع نفسه ، ص: 187

³ سورة القصص ، الآية :04

وهذا ما يتقاطع مع الشخصية الرئيسية في الرواية (جلالته الأب الأعظم) الذي كان بدوره طاغية وظالم ، كما أنه قسّم العالم إلى طبقات ، وكانت الطبقة الدنيا هي المستضعفة الفقيرة والتي مثلت فئة العرب والذي ينتمي إليهم (الفتى موسى) .

فإن كان (فرعون) قد مارس الطغيان في الأرض عن طريق القوة والجبروت (فجلالته) قد مارسها هو الآخر لكن عن طريق قوة الآلة ، التي سيطر بها على البشرية كافة وهذا لأننا في عالم متخيل تسيطر عليه التكنولوجيا .

فكان ظهور (الفتى موسى) في أحداث الرواية كمخلص للبشرية ، يتناص مع قصة (سيدنا موسى) -عليه السلام- الذي خلّص بني إسرائيل من غطرسة فرعون فيكون (الفتى موسى) الشخصية البطل التي تتجسد في (المخلص) " أنت أمل البشرية.. يا موسى! " ¹ الذي ينفذ البشرية المهمشة المنبوذة من هذا العذاب وهذا الظلم .

إن إستعارة (موسى) لاسم (موسى) في الرواية ، يذهب بأذهاننا مباشرة ، إلى أنه وكما خلّص (موسى) بني إسرائيل من ظلم فرعون وجبروته ، فإن خلاص البشرية سيكون حتما على يد الفتى (موسى) " إن يكن خلاصا فالنبي موسى (عليه السلام) خلّص بني إسرائيل من الذل والهوان ، وجمع شملهم ، ونظم صفهم " ²

(موسى الصبي) الذي عمد جلالته على تربيته من صباه ليكون بمقامات الرجل سندا له في المستقبل حتى أعطاه لقب الابن الأعظم ، لكن صدفة الاسم وخط الأحداث يتخللها الغموض الذي يعترى جلالته كما خطت الأقدار السماوية موضع (موسى النبي) في رعاية فرعون الذي عمد أيضا على تربيته ليساعده في حكمه .

فكما نشأ (سيدنا موسى) - عليه السلام - في قصر فرعون ، فقد نشأ (الفتى موسى) في قصر (جلالته الأب الأعظم) "الصبي مائل بين يديه...أكرر قول فرعون لزوجته ..نتخلص

¹ الرواية ، ص: 183.

² الرواية ، ص: 100.

منه فإنه عدوي ..وقولها قرّة عين لي ولك ..فإن أعاد هذا كله فقد حكم على التاريخ أن يعيد نفسه من جديد وتكرر المآسي " ¹.

ويتمثل هذا في النص قوله " لم يكن ليهمل ما قالته الكتب القديمة عن تدخل العناية السماوية لتخلص شعبا من الشعوب وإعادة الاعتبار إليه ...ألم يكن اليهود في زمن فرعون في مثل حال العرب اليوم تحت ملك جلالته ، وبعث الله إليهم نبيه موسى (عليه السلام) ليخلصهم من الهوان والذل ، ويسير بهم إلى الصحراء ، يجمع شتاتهم ويلم شعثهم..

وها هو موسى يظهر ثانية ، ليس في صفة النبي المبعوث ، ولكنه يغيب غيبة موسى في مدين ثم يعود محملا بالتوراة ...هل يتكرر موسى النبي مع موسى العرب ؟ " ²

فكما عاد (موسى)-عليه السلام- بالتوراة ، عاد (الفتى موسى) بالقرآن الكريم وأعاد للدين الإسلامي هيئته " ذلك الدين الذي ذكرت كان عندنا نحن العرب ..مخطوطا في كتاب نزل من السماء على آخر الأنبياء (محمد صلى الله عليه وسلم) عرفنا به العز والتطور " ³

وبالفعل فقد كانت نهاية (جلالته الأب الأعظم) على يد (الفتى موسى)الذي ترأس المجلس التنفيذي لـ (حركة البعث) بعد اتفاق أعضائها على الإطاحة بـ (جلالته) وتخليص البشرية منه ، وبعد إشرافه على صناعة جهاز لتعطيل " العقل الجبار " .

ومن بين الأنساق الدينية الحاضرة في الرواية أيضا ، هو توظيف (مونسي) " لشخصيات تراثية تاريخية دينية تكشف عنها من خلال أسماء بعض الشخصيات مثل : الشيخ عبد الجليل الطبيب الجراح خالد ، المهندس عيسى ، أمينة ناشطة متطوعة ، وأحمد ...فهذا التوظيف لهذه

¹ الرواية ، ص: 100.

² الرواية ، ص: 216 ، 217.

³ الرواية ص : 293

الأعلام الرمزية يتناص مع شخصيات ذات دلالة دينية تاريخية : عيسى عليه السلام ، خالد بن الوليد ، آمنة بنت وهب ...¹

وظّف (حبيب مونسي) في روايته ، وعن خلفية دينية؛ أنساقا دينية على اختلافها ، فمنها المعلنة والخفية ، فقد عمد (مونسي) إلى النهل من النصوص الدينية ، عن طريق التناص مع القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، "فوظف النقل كمسلمات غيبية وذلك حين جسد تلك الشخصية الغيبية السلبية (الرجال) التي هيمنت كعقل بشري في أوج تفوقها باستعمال أدوات الهيمنة كالتكنولوجيا"²، كما عمد إلى التناص مع قصة فرعون و موسى-عليه السلام- وتناص أيضا مع شخصيات تاريخية دينية ، وكل هذا نتيجة تشرب الراوي للثقافة الدينية ، فقد أعطى هذا المزج بين النص القرآني والحديث النبوي قيمة بلاغية وفكرية لهذا الخطاب الروائي.

2 - قيام دولة الإسلام على أنقاض الدولة العالمية :

2-1 البحث عن الأنا وإثبات الوجود :

حملت رواية (جلالته الأب الأعظم) رسالة حضارية تدافع فيها عن الإنسان باعتباره قيمة مركزية في العالم ، فقد اشتغلت الرواية على أزمة الوجود الإنساني ، وما آل إليه في ظل هيمنة العقل المادي ، وانزياح هذا الأخير نحو تحقيق مصالح الأقوياء على حساب الضعفاء والعاجزين ، وكل هذا كان نتيجة لغياب الدين الإسلامي ، هذا الأخير الذي يعبر عن كينونة الإنسان ، وحفظ كرامته وتفضيله عن سائر الكائنات.³

¹ فاطمة هلالى ، فارس لزه ، ظاهرة التناص في رواية الخيال العلمي الجزائرية (جلالة الأب الأعظم نموذجا) ،مجلة (لغة - كلام)،المجلد 06 ،العدد 04 ، المركز الجامعي بغيليزان / الجزائر، 10/12/2020 ،ص: 270

² أبو يوسف معروفى عمر الطيب ، انهزامية العقل في تحديه للنقل في رواية (الأب الأعظم) للكاتب الدكتور حبيب مونسي ، <http://al-ghorba28.blogspot.com> ، تم الاطلاع 02 /06/ 2022 ، التوقيت 11:00 .

³ ينظر، معلم صفاء ، الخطاب الحضاري في رواية " جلالته الأب الأعظم" لحبيب مونسي ، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية ، تبسة (الجزائر) ، المجلد 3 ، العدد 2 ، 2020 ، ص: 367

وفي سبيل البحث عن الذات وهوية الإنسان قام (الفتى موسى) برحلات في أمكنة متنوعة التقى فيها بشخص مختلف باحثا عن إجابة لسؤال الهوية والذات والأصل والدين "نعم اسمي موسى .. تسمى به بنو جلدتك دهرا ، بل ربما أكون منهم . لم لا فأني لا أعرف لي أبا ولا أما .. ربما كنت ابنك أنت من يدري ..؟" ¹

فهو يريد إثبات وجوده والبحث عن الأنا في ظل سيطرة الآخر (جلالته الأعظم) الذي حاول طمس الهوية وإذلال العربي خاصة فهذا صراع أزلي باسم الدين " وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ " ²(البقرة آية 119).

هذه الإنسانية التي عمل الدين الجديد على أخذ كل مظاهر الروح والحياة منها فيخضع فئة الإنسان العربي للامتثال للأوامر والنهي وطمس هويته " فاتخذت لها من الجبال والصحاري والجزر النائية موطنًا خاصًا ... لا يليق بهم التفكير في الاختلاط بغيرهم أبدا.. " ³.

فيحقق هذا النظام السلطوي عدالة مزيفة ليتقاطع السرد مع مظاهر تناصية مع يوم القيامة "هنا وجدت نفسي وسط العرب .. نعم العرب..نقف في طوابير لانهاية لها تحت شمس محرقة (...) تنصب علينا لعنات الزبانية حينًا بعد حين (...) وصار الموت أمنية غالية لا ينالها إلا السعيد " ⁴.

فنسق الأنا (موسى العرب) يبحث عن هويته الضائعة ،في ظل غطسة الآخر (جلالته) الذي غيبها ، ولم يبق لها أثر ، بحرق كل ماله صلة بتاريخ الأمم والحضارات والديانات.

ولكن بذكائه استطاع (موسى) أن يجد الخيط الذي يوصله لمعرفة ذاته وأصوله الأولى، فبعد لقائه بالشيخ (عبد الجليل)، ومعرفة الأوضاع التي يعيشها العربي في ظل حكم (الأب الأعظم)

¹ الرواية ، ص :174.

² سورة البقرة ، الآية : 119

³ الرواية ، ص :105.

⁴ الرواية ، ص :176.

تتجسد فكرة التمرد التي مثلها (الفتى موسى) من أجل تحقيق الذات وإثبات وجودها ، وذلك عبر سياسة المحاربة بنفس الأدوات والاستراتيجيات والتي استعملها نظام جلالته في عملية التطهير وفرض سيطرته على العالم .

2 - 2 مركزية المهمش وتهميش المركز :

إثبات الوجود وبالتالي التمرد ، ومن هنا بدأ (موسى) في التخطيط للتخلص من سلطة وهيمنة المركز والمتمثل في نظام جلالته الظالم ، مع مجموعة من بني جلدته من شيوخ وعاجزين ومنبوذين بعدما استنفذ منهم النظام كل قواهم ونبذهم في العنابر لأنهم لم يعودوا قادرين على القيام بمهامهم ، بعدما تم إفراغهم من العقل الجبار

فأصبح " خلاص البشرية متوقف في هذه الساعة على شيوخها ومرضاها ومعتوها" ¹ فهنا تحدث المفارقة في الخطاب الروائي العلمي حيث يكون الخلاص على يد هذه الفئة العاجزة.

ففي هذا النسق المفارق يصبح المريض والعاجز علامة ترفض التهميش ، نتيجة احتقار الآخر/المركز (جلالته) ، لأننا /المهمش (العربي) مما ولد صراعا تبحث فيه الأنا عن حريتها وخلصها مما يدفعها إلى التمرد وفرض وجودها في الواقع .

وما يلاحظ هنا أن هذه الفئة التي ترفض التهميش ، كلها من فئة المهندسين والأطباء أي المثقفين من هذه الأمة فهي تسعى إلى إعادة مركزيتها المسلوبة ، نتيجة البعد عن تعاليم دينهم كما ذكر الطبيب الجراح " ذلك الدين الذي ذكرت كان عندنا نحن العرب...مخطوطا في كتاب نزل من السماء على آخر الأنبياء (محمد صلى الله عليه وسلم) عرفنا به العز والتطور والحضارة ، ولما دب فينا الخلاف وأهملنا تعاليمه ، ارتكسنا إلى الضعف والهوان " ² .

¹ الرواية ، ص: 196.

² الرواية ، ص 293.

فمن خلال هذه الأنساق الدينية التاريخية التي وظفها (مونسي) ، نفهم منها أن الدين الإسلامي كان يمثل نسقا مهيمنا بمركزيته. ولكن بفعل حملات التطهير التي قادها (جلالته) غاب هذا الدين عن الوجود ، فأمسى الإسلام مهمشا مغيبا في ظل الطرح الذي أتت به الماسونية والتي مثلت المركز ، في هذه الرؤية الاستشرافية للمستقبل والتي يقدمها (مونسي) في هذا القالب الخيالي الممزوج بالتطور التكنولوجي في تصور لعالم تحكمه الآلة .

وهذه الآلة كانت رمزا للسيطرة والتحكم في العالم . فكما أن (جلالته) استعمل (العقل الجبار) لبسط نفوذه ، كذلك استعمل الفتى (موسى) آلة شبيهة (بالعقل الجبار) لتخليص العالم منها ومن التخاطر الذهني مع الناس ، وإرسال أسس الدين الإسلامي مباشرة إلى رسوم العقول البشرية، فانقلب السحر على الساحر .

وبطريقة ذكية تلاعب (مونسي) بهذه الأنساق المهمشة التي مثلها العربي المسلم ليتحول المهمش المنبوذ من نقطة الضعف والعجز إلى القوة والسيطرة ، فيمكن للمركز والهامش تبادل الأدوار بالعلبة والقوة . وبهذا النسق المخاتل يكسر أفق التوقع لدى القارئ الذي يتفاجئ بسقوط نظام الرجل المعجزة الذي كان يمثل قوة عظمى لا تقهر .

لقد بدأ الخلاص ببناء الفتى (موسى) الذي تمَّ إفراغه في ذاكرة (العقل الجبار) بعد تشفيره من طرف المهندس (أحمد) ، ثم وجهه إلى (طبقة العرب) ففيه وعد حي يخلص الناس ويؤسس لعالم جديد على أنقاض (الدولة العالمية) . ومن هذا المنطلق الذي تميز به هذا الخطاب العلمي الذي هيمنت عليه الآلة يطرح الكاتب نسقا آخر يتمثل في القدرة البشرية وتمييزها على الآلة رغم التقدم التكنولوجي ، (فالعقل الجبار) وما تميز به من نكاء خارق وبرمجة ذكية ، إلا أن العقل البشري والمتمثل في المهمش المنبوذ والضعيف استطاع التميُّز على هذه الآلة (العقل الجبار) بعزيمته وفطرته الإنسانية السليمة .

فمن خلال هذه الأنساق المتصارعة في الرواية ، يقدم (مونسي) الإسلام كدين عالمي يقدم العقل والفطرة ، و كبديل عن العقل المادي المتمثل في الآلة التي لا تعترف بالمعاني الإنسانية.

في الأخير يمكن أن نخلص إلى كون رواية (جلالته الأب الأعظم) بكل ما تحويه من أنساق ثقافية سياسية ودينية ، ظاهرة كانت أم مضمرة ، قد مثلت أداة ثقافية ، حاولت أن تكشف بطلان الطرح الماسوني والمسيحي ، لتقدم الدين الإسلامي كبديل لإصلاح المجتمعات فقد كشف الأعيب الماسونية ، مستعملا في ذلك أنساقا مضمرة توحى بما تنويه الماسونية من سيطرة على العالم بأسره ، متكئ على القرآن والحديث ليدعم رؤيته ويقوي حجته باعتبار هذه النصوص الدليل الذي يستنبط منه حقائق كونية ، وقد وظفها كمنطلق قطعي لقراءة استشرافية لما سيكون عليه العالم في المستقبل .

الفصل الثَّاني

الأنساق الاجتماعية ونسق المرأة في رواية (جلالته الأب الأعظم)

لـ "حبيب موني" "

أولاً: الأنساق الاجتماعية

- 1- التَّحكم الاجتماعي في ظل الدولة العالمية
- 2- تشظي وتفكك المجتمع تحت سلطة الرجل المعجزة

ثانياً: نسق دونية المرأة والفحولة

- 1- نسق دونية المرأة في الرواية
- 2- نسق الفحولة في الرواية

توطئة :

إنّ الرواية منحدر وعر يموج بالعوالم المتشابكة والحديث عنها يعني الحديث عن الحياة عن المجتمع ، عن الواقع ببساطة عن عالم بأكمله ، لذا دأب الروائيون على خلق كيمياء من الدّوال اللغوية في عالم السرد الذي غدا حافلا بزخم من العلائق الجوارية والجمالية والتي تجتذب القارئ وتستهويه بكلّ تمفصلاتها .

ولقد خاض الكتاب الجزائريون غمار التجربة الروائية بكثير من العزم والإقدام ، حتى خطى الواحد منهم خطوات بالغة نحو التّميز والتّطور ، بالإضافة إلى التّجدد فمنذ بدايتها الأولى برزت الرواية الجزائرية كفعل انقلابي يستهدف تنوير الحياة والإنسان معا ضد قيود الجهل والتخلف .

وما (حبيب مونسي) إلاّ أحد هؤلاء الروائيين الذين أسالوا الكثير من الحبر في سبيل إعلاء صرح الرواية العربية ، ورواية الخيال العلمي خير دليل على ذلك ، فقد حاول الكاتب الانفتاح على رؤى جديدة في الكتابة ونزع إلى تطوير الحياة والمضامين . وذلك من خلال تقديم رؤى علمية في طابع خيالي يجتاز المنطق التقليدي ، ويفك قيود الكتابة سعيا للكشف عن عوالم فنيّة تتفجّر دلاليا .

و على اعتبار أن النّص الذي بين أيدينا هو نص ثري بالأنساق الثقافية وذلك للخلفيات التاريخية والفكرية والمرجعية التي أحاطت بالرواية وبعد أن تطرقنا في الفصل الأول إلى الأنساق السياسية والدينية فقد سعينا في هذا الفصل إلى تتبع تمثلات الأنساق الاجتماعية ونسق المرأة في رواية (جلالته الأب الأعظم) بالاعتماد على مقولات النّقد الثقافي التي مكنتنا من التعمق في النّص بمختلف بنياته وتعرية مختلف مضمراته المتخفية وراء أفكار وأحداث وشخصيات من نسج الخيال العلمي .

أولاً - الأنساق الاجتماعية في رواية (جلالته الأب الأعظم) لـ "حبيب مونسي":

لا يختلف اثنان حول ما للثقافة من صلة وثيقة بالمجتمع، "بل إن الثقافة هي في العمق نتاج اجتماعي وإنساني، ينشأ عن الحياة الاجتماعية البشرية من خلال سعي الإنسان لابتكار سبل التكيف مع الظروف البيئية المحيطة به." ¹ وبما أن النصوص والخطابات هي جزء من هذه الثقافة سواء كانت هامشية أو مركزية، فإنه يمكننا القول أن النص عبارة عن مرآة عاكسة عن طريق التخيل للوعي الاجتماعي، يتولى المؤلف نقلها ويتلقاها القارئ وتتمظهر فيها - عن قصد أو غير قصد - أنساق المجتمع ويعدّ هذا الأخير نسقا في حدّ ذاته والنسق الاجتماعي "هو أداة تصويرية يتألف من مجموعة من العناصر المترابطة مع بعضها البعض تتحدد علاقتها في إطار الكل بمجموعة من المبادئ التنظيمية التي تستند إلى التساند الوظيفي والتفاعل بين أجزاء النسق." ²

وترتبط الأنساق الاجتماعية فيما بينها بمنظومة ثقافية متعدّدة الأهداف ومتنوعة في أطرافها وآلياتها، وتؤثر بمستويات مختلفة في حياة الفرد وفي أفكاره وقيمه ونتاجه من نصوص وخطابات. ³

ومن هذا المنطلق و بالاعتماد على المفاهيم الإجرائية للنقد الثقافي في الكشف عن الأنساق الاجتماعية التي سيطرت على البناء العام للرواية، يمكننا استقراء نسقين بارزين من مضمون النص السردي الذي بين أيدينا وهما نسق التّحكّم الاجتماعي ونسق تشظّي وتفكك المجتمع .

¹ عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة (المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص:111.

² أحمد حيدوش وحفصة عزوي، النسق في الرواية النسوية العربية (رواية لحظات لا غير أنموجا)، المدونة، جامعة محند أكلي أولحاج، البويرة، الجزائر، المجلد 6، العدد3، ديسمبر 2019، ص:786.

³ ينظر جهينة العيسى، العلاقة بين الأنساق والتنمية الثقافية، مدونة جهينة، يناير 2012، 11:02 م <http://bintsultan1.blogspot.com> تاريخ الاطلاع: 3 جوان 2022، التوقيت 06:13

1- نسق التّحكم الاجتماعي في ظل الدولة العالمية :

إنّ رواية (جلالته) هي تمثيل سردي لعالم مستقبلي تتكاثف فيه رأى المؤلف وتخوفاته آماله وآلامه، هي رؤيا استشرافية وتمثيل لعالم مليء بالتناقضات ، يبرزاً تحت وطأة الظلم الاجتماعي تارة وتحت كابوس التكنولوجيا المدمرة تارة أخرى . فقد رسم (حبيب مونسي) الواقع الذي نسير نحوه بناء على مرجعياته الثقافية والفكرية ورؤاه الفلسفية فكيف كانت تصورات الكاتب لمجتمع الدولة العظمى بقيادة جلالته ، وما هي تجليات هاته التصورات ؟

1-1 التمييز الطبقي :

لقد شرع جلالته بعد أن استتب له الأمر وتمكّن من السيطرة على العالم في سنّ قوانين نظامه الاجتماعي المبني على الطبقيّة وهو الذي كان بالأمس القريب يدعو الناس إلى مدينة " لا سيد فيها ولا مسود"¹ وها هي دعوة التوحيد تتقلب إلى تفرقة وتهميش لطبقة على حساب أخرى إذ قضى (الرجل المعجزة) بتقسيم الدولة إلى ثلاثة وثلاثين طبقة وفي هذا الإطار يقول الكاتب : "لقد قسمنا الدولة إلى ثلاثة وثلاثين قطاعا وجعلنا على كلّ مقاطعة حكيمًا يتولّى شؤونها ، يساعده في ذلك كاهن من مجلس الكهنة ، وعسكري من مجلس العسكريين ، مربّي من مجلس المربين."²

وتعتبر طبقة الحكام أعلى هذه الطبقات ثم يليها طبقة الكهّان "وتمثل القوة والسلطة وتعمل باسم (الأب الأعظم) من أجل خلاص البشرية ، يليها مجلس العسكريين ثم طبقة المربين التي تتميز بالذكاء"³ وهكذا وصولا للطبقة الأخيرة التي هي طبقة العرب . ويفتح (جلالته) باب التنافس بين الشعوب فيعطيهم فرصة للارتقاء من طبقة إلى أخرى في حال أثبت الفرد تقانيه

¹ الرواية ، ص:44.

² الرواية ، ص:60.

³ عبد الواحد رجال ، خطاب الديستوبيا في رواية جلالته الأب الأعظم لحبيب مونسي من خلال نماذج روائية غربية ،مجلة إبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة برج بوعرييج ، الجزائر ، العدد3، جوان 2020، ص:425.

وإخلاصه في خدمة الدولة وإبداعه فيها هو (الأب الأعظم) يعد ويمثي الأنفس قائلاً "سنفسح باب الترقى من طبقة إلى أخرى حتى نصنع الولاء في النفس الطامحة الخلافة".¹

هذا التمييز يستثني منه طبعا طبقة العرب (الطبقة الدنيا) فهي ليست أهلا للارتقاء أو لأي شيء آخر فهي للعمل والخدمة لا غير على حد قول (الرجل المعجزة) "اتركوا الطبقة الأخيرة لتكون خادمة فحسب (...). فهم للأرض ومنها يعودون"²، وعلاوة على ذلك فقد كان حظها من الشقاء وافرا فهي أداة طيعة لشركات المناجم متى شاءت وكيفما تريد لذا "سيقت الجماهير إلى المناجم والجبال والصحارى للعمل"³، وميز العرب عن غيرهم بالرقابة الصارمة وعزل هذه "الجموع في مراكز بعيدة عن حركة المدينة (...). فلا يليق بهم الاختلاط بغيرهم".⁴

وخصص لهم جيشا ليس له مهمة إلا تعذيب هذه الفئة إذا ما سولت لهم أنفسهم مخالفة الأوامر أو الهرب و "زوّدت المراكز بشاشات عملاقة يطل منها وجه جلالته ليحدثهم حديثا يमित الإدراك، ويقتل الإحساس، ويورث الخوف والخشية".⁵ ورغبة منه في زيادة التنكيل بهذه الفئة فقد "امتدّ التنظيم الجهنمي إلى عزل الأحياء السكنية عن بعضها البعض بسياج مكهرب"⁶ وبهذا يتحول أفراد هذه الطبقة إلى كائنات فاقدة للمشاعر وراضية بالواقع كيفما كان وتتناسى هذا الواقع بالغوص في براثن الخمر والسكر عليها تنسى هذه الحياة التي بلا حياة بين مناجم الذهب وحقول الحشيش حتى إذا ما انتهت صلاحيتهم "رفضهم العمل ورفضتهم المطاعم الدولية، ورمى بهم كبر السن إلى مسارب المجاري، يتخذونها مساكن، لا يبرحونها نهارا ويخرجون منها ليلا لالتقاط فضلات الطعام".⁷

¹ الرواية، ص:64.

² الرواية، ص:64.

³ الرواية، ص:104.

⁴ الرواية، ص:105.

⁵ الرواية، ص:105.

⁶ الرواية، ص:169.

⁷ الرواية، ص:169.

ومجمل القول فإن (حبيب مونسي) حاول بخياله العلمي أن يبرز بشكل لافت للانتباه نسق التمييز الطبقي الذي سلّطه (الأب الأعظم) على العرب و كشف أن الدولة العالمية ليست هي المكان المرغوب فيه أو المثالي كما أوهم (جلالته) العالم بل على العكس من ذلك أصبح العالم مرتعا للظلم والتهميش.

1-2 التبعية الفكرية والاقتصادية :

يتجلى في كلّ زاوية من زوايا الرواية نسق السيطرة الفكرية والاقتصادية على شظايا الإنسان المحطم الذي يزرع تحت وطأة التكنولوجيا وسيطرتها الفكرية. فقد أصبح الكائن البشري مهدّدا من قبل الدولة العالمية التي أفشت مناخ الرعب وأضحى الإنسان مستلبا من كلّ شيء بل إن التكنولوجيا طالت سيطرتها حتى دوافعه ومشاعره وغرائزه كل ذلك بواسطة آلة واحدة هي آلة (العقل الجبار) .

وها هو (عبد الجيل) يقصّ على (موسى) بعد أن أيقظه من سباته الفكري، كيف استطاعت الآلة أن تتلاعب بأدمغة العرب وكيف جعلتهم مغيبين تماما سنين عدا. وقد تم جمعهم في طوابير طويلة وسط صحراء قاحلة وتحت الشمس الحارقة " فجاءت الآلات اللعينة... من السماء.. نعم نزلت علينا مثيرة في وجعنا دوامات الرمال المحرقة ، ثم شرعت تبتلعنا العشرات بعد العشرات ، وانتهى كلّ شيء .. وخرجنا من جوفها مسلوبي الإرادة ، نساق سوق العير دون تذرّ أو رفض بل يشار إلينا بالبنان فنقبل وندبر، ويسلط علينا العذاب، فننألم ولكننا لا نحاول درأه عنا حتى ولو أودى لأحدنا .."¹.

وبهذه الآلة تمكن (جلالته) من السيطرة على عقول وأدمغة العرب ولم يعد لديهم الحق في أي شيء حتى أنه حرّمهم من التعليم فأوامر (الأب الأعظم) جاءت واضحة : "واتركوا الطبقة الأخيرة لتكون خادمة فحسب ، لا تعرف شيئا عن العلم والتعلم " ² فكانت تبعيتهم

¹ الرواية ، ص:177.

² الرواية ، ص:64.

لجلالته عمياء وأصبحوا في حدّ ذاتهم آلات صمّاء لا يختلفون عن الآلة إلا في الأكل أو الشرب بل إنهم حتى في هذه مسيرين غير مخيرين ، حيث أصبحت لقمة العيش ورغيف الخبز طلبا صعب المنال وثنمها هو الولاء والانصياع لأوامر ورغبات (جلالته) الذي يؤكد أنه سيّلي " رغبات الطبقة السفلى بكلمة واحدة، أو برغيف خبز مغموس في العرق."¹

لا يعلن الخطاب الروائي عن فحواه وإنما يضمها وهو ما نلمحه في عرض (حبيب مونسي) للوضع الاقتصادي لمجتمع الرواية وذلك في مدينة (ريو دي جانيرو) بالتّحديد فقد " تحوّلت إلى معسكر ضخم ، يعج بالأجناس التي حشدت من أطراف الكرة الأرضية ومن الطبقات الدنيا لتسخر في مناجم الذهب ، وحقول الحشيش فأفرغت المدينة من سكانها لتتحول إلى عنابر تضم شتاتا من الرّجال والنّساء كلّ مساء بعد انتهاء ساعات العمل."² و ليس لهؤلاء العاملين من أجر إلاّ قطعة خبز ومزيدا من التعذيب والهوان .

ولأن الإنسان في (الدولة العالمية) مسلوب الإرادة والتفكير فلا يمكنه بأي حال من الأحوال الاعتراض أو الرّفص ، فليس عليه إلا الانتظار حتى يجد نفسه بعد أن وهن عظمه وضعفت قوته وقد تآكلته السنين خارج إطار الخدمة ، فيزج به عندها في مسارب المجاري وتكون هي ملجأه وبيته وهكذا يبقى هؤلاء العجزة بانتظار " الموت في أقبية المسارب القذرة يعيشون على القمامة والجرذان."³

استطاع (حبيب مونسي) أن يبدي فظاظة النّظام بتوظيفه لهاته " الإجراءات التي تتخذ طابعا اقتصاديا في الرواية ، تؤدي إلى توسيع السيطرة الحكومية على الجسم كوسيلة للسيطرة على العقل بحيث يمكن القضاء على أي تمرد وبالتالي يكون للدولة سيطرة كاملة على الكائن البشري."⁴ ولضمان تبعيته التامة وزيادة في تهميشه بحجّة أن التّاريخ يعيد نفسه . فطالما أن

¹ الرواية ، ص:61.

² الرواية ، ص:168.

³ الرواية ، ص:208.

⁴ عبد الواحد رجال ، خطاب الديستوبيا ، ص:432.

اليهود قد تم تهْميشهم في فترة من فترات التاريخ ، فلا ضير إذا تجرّع العرب من نفس الكأس وهذا ما يبدو في كلام جلالته " إنه التاريخ يعيد نفسه ، وليس لنا فيه دخل أو تحويل ، لقد عرفنا نحن الشتات والحرمان من قبل ، وعلى هذه الطبقة أن تذوق منه قسطها ، أليس ذلك من عدالة التاريخ؟! ¹ فمن ذا يستطيع أن يلوم التاريخ وخاصة إذا كتبه جلالته؟! "

ونستشف من هذا المقطع السردى -الذي يبدو في قالب تهكمي-النسق المضمّر الذي يختفي معه نداء العدالة والمساواة ليبرز ويتجلى بعد ذلك التمييز العرقي والديني وهو السبب الجوهرى الذي جعل منه يسلط على العرب صنوفا من التهميش والعذاب .

وصفوة القول أن الرأوى قد أبرز بوضوح نسق التّحكم الاجتماعى من قبل الدولة العالمية ويظهر ذلك في تقسيم جلالته للمجتمع إلى طبقات أدها طبقة العرب التي تم هضم حقوق أفرادها الإنسانية و سلبهم قدرتهم على التفكير وجعلهم تابعين له بقطعة رغيف مغموس في العرق.

¹ الرواية ،ص:105.

2 - تشظي وتفكك المجتمع تحت سلطة الرجل المعجزة :

يهدف الخيال العلمي إلى التنبؤ بالمستقبل ، فالكاتب هنا (حبيب مونسي) يقدم نظرة واسعة على العالم عبر رؤيته الاستشرافية للعالم في ظل التطور التكنولوجي ، والولوج إلى عالم المادة الذي تغيب فيه الأحاسيس والعواطف فيتحول الإنسان إلى آلة لا تحمل من صفة الإنسانية شيئاً .

وهذا ما حاول (مونسي) تقديمه في بداية روايته من خلال الرسائل الانتحارية التي تنقل لنا صورة عن مجتمع متخيل في المستقبل ، انطلاقاً من الواقع في تصور لما ستؤول إليه الإنسانية نتيجة البعد عن الدين والأخلاق والعادات والتقاليد والتاريخ.....، وكل هذه أنساق ضمنية ، يريد الكاتب أن يوضح من خلالها أن البعد عن مقومات المجتمعات حتما يؤدي بالإنسانية إلى الهلاك .

2 - 1 تلاشي المجتمع المدني في رواية " جلالته الأب الأعظم ":

رواية (جلالته الأب الأعظم) تعبر عن حدة الأزمات المصيرية التي ستواجه الإنسان في المستقبل ، في ظل تفتت القيم الأخلاقية والمبادئ وحيرة الذات .

وهذا ما نجده في الرسائل الانتحارية التي بدأت بها الرواية فقد حوت العديد من الأنساق الضمنية والمعلنة فنجد منها :

أ - غياب القيم الأخلاقية :

فنبذ القيم الأخلاقية وغيابها يهدم المجتمعات غربية كانت أم عربية ؛ وهذا ما نجده في الرسالة الأولى للدكتور باركلي ، التي كتبها يوم الجمعة جوان 2012 " قبل أن أنهي علاقتي بالحياة ، مستعملاً الأفراس الموضوعية على مكتبي . وأمانة مني أحاول أن أبين

أسباب إقبالي على الانتحار لئلا تقع التهمة على زوجتي أو عشيقها الذي يقاسمني البيت والأولاد...¹

فالدكتور هنا يعلم بخيانة زوجته ، ومع ذلك فهو يبرئها لئلا تتهم بقتله ، وبهذا النسق يوضح (مونسي) قمة الانحطاط الأخلاقي الذي من المحتمل أن يصل إليه الإنسان في المستقبل حسب تصوره ، فهو يؤدي إلى تفكك الأسرة ، فكيف يرضى لعشيق زوجته أن يشاركه البيت والأولاد!؟

وبهذا الانحطاط الأخلاقي تذهب الأسرة إلى الضياع ؛ فالأم " عارية مبتذلة تهرب من نفسها " ، والأب يتجه " إلى الجنس ... إلى المخدرات ... إلى الملاهي " ، والأبناء " يقبلون ألعاباً آلية ، ثم يتركونها إلى شاشات التلفزيون الذي يلهث وراء برامج أشبه بما نقوم به نحن بتمثيله على خشبة الحياة "² .

فيصبح المجتمع ميتاً ، تغيب فيه مظاهر الحياة ، فيبحث الإنسان عن الموت بشتى الطرق . وكل هذا تَمَّظَّر على شكل أسئلة في رسالة هلين :

- أين الإنسانية في كل ذلك ؟
- أين هي الأسرة والمجتمع يقتلها شيطان الجنس ..
- أين هي والبشرية تنتحر بالمخدرات والسموم ؟³

ب - مجتمع بدون هوية :

المجتمع الذي تخيله (مونسي) مجتمع مادي بحت ، سيطرت عليه الآلة مغيبة عقله وفكره فمسَّه الخراب وماتت إنسانيته وكل ما تحمله الحياة من معنى ، حيث تقول (أولقا) - الخادمة

¹ الرواية ، ص :4.

² الرواية ، ص :6.

³ الرواية ، ص :23.

الآلية للبروفيسورة هيلين - " أنت لست إنسانة ، أنت مثلي في كل شيء ، لا تختلفين عني إلا في مادة التركيب . (...) ولم أجد فيك أكثر مما أجد في نفسي .ورحت أبحث عن المشاعر الإنسانية (...) فلم أجد لذلك أثرا " ¹

وذلك بسبب غروره واندفاعه نحو أهوائه وتهوره ، وضعف دينه وانقياده إلى إغواءات الدنيا وإلى المادة .

ففي هذا النسق المضمّر يعطي (مونسي) صورة مستقبلية ، إذا ما المجتمعات نبذت عاداتها وتقاليدها باسم الحرية والبعث عن الدين عاث الفساد في المجتمعات ، وما هذا إلا دقّ ناقوس الخطر لما ستصبح عليه الإنسانية في المستقبل من خلال الإغراءات والدعاية الشيطانية

فمن خلال هذا النسق و المتمثل في فقدان المجتمع لهويته يبيّن (مونسي) أن ما يُسمونه تطوراً وتقدماً في العري وانتشار الملاهي، ما هو إلا عودة إلى البدائية الأولى والحيوانية التي كان يعيشها الإنسان قبل مجيء الديانات السماوية التي هذبت سلوكه وميزته عن باقي الكائنات فهذا نسق مضمّر يريد من خلاله بعث رسائل إلى المتلقي بعدم الانجرار وراء الدعايات والموضة التي يشهدها العصر الحاضر والتي تستمر إلى المستقبل من خلال توقعاته المتخيلة انطلاقاً من الواقع " حينئذ يصبح الوهم واقعا ، ويتبدل الداء دواء ، ويظهر الخلاص في الخمر والسعادة في الجنس ، والنسيان في المخدرات ، والحرية في التجرد من الثياب والعادات والدين وكل شيء... " ².

¹ الرواية ، ص: 19

² الرواية ، ص: 29

ج - فقدان المجتمع المدني :

شكلت هذه الرواية غياباً تاماً للمجتمع المدني حيث تتعدم فيه المجموعات الاجتماعية في الدولة بعدما قامت بتقسيمها إلى طبقات وفئات اجتماعية تحت سيطرة الحكومة الموحدة وهذا ما أدى إلى اضمحلال المجتمع المدني في ظل الدولة العالمية ، فلا يسمح لأي أحد في الانخراط في حكم الدولة إلا إذا كان امتداداً لسلطتها .

وفي هذا السياق يؤكد (مونسي) على نسقية الهامش والمركز ، الذي يمثله جلالته وذلك من خلال الهيمنة والسيطرة الروحية والقانونية على المجتمع باسم الدين " حيث تم تأسيس معبد رئيس تولى وضع التشريعات الجديدة للدولة العالمية"¹.

فالمعبد ليس مؤسسة دينية مستقلة ؛ إنما هي امتداد لسلطة (جلالته) ليكون هو المركز الذي تنطلق منه كل التعاليم ، ففي هذه الرواية يحكم العالم كله نظام شمولي " اعتمد العمل على الكتاب المقدس لجلالته ، وتبويب ما جاء فيه على شاكلة النصوص القانونية ، لتأخذ الديانة الجديدة طابع الشمول ، فتتضمن توجيه الحياة العقائدية ، والحياة القانونية ، فلا تعزل الدين عن الدولة ولا الدولة عن الدين"² .

فالإنسان في دولة (جلالته) مغيب العقل مسلوب الإرادة خاضع لسيطرة الدولة فيستجيب بجسمه الذي أصبح كالآلة . وقد وصل إلى هذه النتيجة من خلال المناهج التي وضعها مجلس المربين ، بعدما أوحى (جلالته) " إلى العامة بنبذ كل الثقافات ورميها وحرقتها "³ فتحول الإنسان إلى كائن سهل الانقياد والإنتاج ، ضمن قيم ومعتقدات سائدة في الدولة الشمولية .

¹ الرواية ، ص: 81 ، 82.

² الرواية ، ص: 82.

³ الرواية ، ص: 63.

فيظهر هنا نسق الهوية الضائعة من خلال الدعاية ، والتلاعب بماضي الأشخاص والمجتمعات ، فتعمل على طمس الحقائق ؛ وتغسل الدولة بمنهجية صارمة دماغ الشعب ليقيم الطاعة الواجبة للدولة ، فتسخر الإعلام بما يمتلكه من قدرة على ترويح الأخبار وتغيير الحقائق عن طريق ترسيخ القناعات الموهومة ، فالصحافة تساهم " في توجيه الخطوات نحو الهاوية ، تصنع رأيا سلبيا في جوهره تقدما في مظهره ، تخدع به الطاقات العاملة "

ف نجد هنا نسق ظاهر يتمثل في توحيد العالم والمجتمعات ، تحت رداء الدولة العالمية الموحدة يحكمها (جلالة الأب الأعظم) بتشريعات وقوانين (الكتاب المقدس) . ونسق مضمّر تمثل في تغييب هوية المجتمع ، فأصبح الإنسان آلة توظف بحسب احتياجات المجتمع الذي تنعدم فيه المشاعر الإنسانية ، وتطغى فيه لغة الاستبداد والاستعباد ، والتوجيه الممنهج لهذه القطعان البشرية التي لا تجد في معاملتها أدنى درجات الإنسانية .

2 - 2 تفكك الأسرة في مجتمع رواية " حبيب مونسي " :

الأسرة باعتبارها الخلية الأساسية في المجتمع ، تعكس ما يتصف به من حركية ومن تماسك أو تفكك ؛ ومن قوة أو ضعف ، ومن تقدم أو تخلف ، فالأسرة هي التي تمد المجتمع بمختلف الفئات النشيطة فهي تؤثر فيه وتتأثر به فبصلاحها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد .¹

ففي مجتمع الرواية المتخيل تغيب فيه معالم الأسرة ، بكل تفاصيلها كما تساءلت (هلين) " أين الأسرة ؟ أين الأمومة ؟ " ² فهو مجتمع ميت تخلو منه مظاهر الحياة " فيغدو الباعث الوحيد هو البطن ، والجنس ، بما يتبعهما من شذوذ وإسراف " ³

¹ ويكيبيديا ، أسرة ، <https://ar.m.wikipedia.org> ، تاريخ الاطلاع 02/06/2022 ، التوقيت 10:00 .

² الرواية ، ص: 22

³ الرواية ، ص: 20

وفي ظل تفكك المجتمع المدني يتم القضاء على مؤسسة الأسرة ، فقد ألغت الدولة العالمية (لجلالته) نظام الزواج واستبدلته بنظام أقرب ما يكون للحيوان فقد " تلاشت في تراكيبه مفاهيم الأسرة والرابطة العائلية " ¹

من خلال هذا النسق يوضح (مونسي) أن بإلغاء هذه المؤسسة الاجتماعية يترتب عنها الانغماس في الرذيلة والإباحية ، ومنه تحطيم الرابط الأسري ، فإذا أمعنا النظر في هذه الأنساق المضمرة وجدنا أنها من بين الأهداف الخفية للماسونية ، وما يجري في أحداث هذه الرواية ، ما هو إلا استشراق لمستقبل مظلم للبشرية ، يحذر منه (مونسي) في ظل هذا الطرح الماسوني .

وبما أن الأسرة هي النواة واللبننة الأولى في تكوين المجتمع ، فيإلغاء نظام الزواج تتفكك المجتمعات ، وتتلاشى في ظل هذا النظام الاستعبادي فقد " صار الحديث عن الأسرة حديث شعوب غابرة " ومنه يضمحل مفهوم الأسرة ، بما يحمله من ترابط عاطفي ، وتآلف بين أفرادها والواضح أن المجتمع حينما يبلغ هذه الدرجة من التفكك فإن مآله الانحدار . فيصبح الموت أمنية لا ينالها إلا سعيد .

فينتج هذا المجتمع أفرادا لقطاع " لا يعرفون أبا ولا أما . بل يعرفون مربية قاسية القلب عديمة الأخلاق ، تتعاطى أمامهم أسباب المجون والخلاعة . بل تحثهم على مزاوله ذلك مدعية أنها من قواعد التربية السليمة " ²

فقد أصبحت النساء حاضنات " يقمن بالحمل مدة الأشهر التسعة مقابل مبالغ تقدمها مؤسسات الحضانة " ³ تتولى هذه الأخيرة تربية اللقطاع ، ومن هؤلاء يتم بناء المجتمع وصناعة أفرادهم على اختلاف مستوياتهم وأدوارهم .

¹ الرواية ، ص: 12.

² الرواية ، ص: 12.

³ الرواية ، ص: 13.

وبما أن الرواية تنتمي إلى عالم الخيال العلمي ، الذي تحكمه التكنولوجيا ، فقد قامت الآلة هي الأخرى بتنشئة الأفراد داخل هذه المؤسسات ، حسب احتياجات الدولة العالمية .

كما هو الحال مع (هيلينا) التي أصبحت آلة للذة ، بعدما عرضت على آلة ضخمة تستقبل فيها اللذة طيلة يومها دون ملل أو كلل .

أيضا الحرس الذين هم من حثالة الطبقات " اختارتهم المؤسسات الحربية حسب مقاييس تمت إلى الحيوانية والتهور .وأمدتهم آلات التحضير بقسط وافر من القوة والغلظة ، ومسحت من قلوبهم آثار الرحمة " ¹

ليستحيل الإنسان بهذا آلة صماء بدون مشاعر أو أحاسيس تنفذ فقط ما تم برمجتها عليه كل حسب طبقته ومهامه .

كما تحكم (جلالته) في موسم التزاوج الخاص بالطبقة الدنيا ، وهي طبقة العرب المنبوذين ومن هنا يمكن أن نلاحظ وجود نسق مضمر والمتمثل في العنصرية العرقية ، التي ميّز بها العرب عن غيرهم من الشعوب ، وجعلهم في أدنى طبقة تتخبط بين الجهل والجوع .

" وكانت الفكرة الشيطانية ، ترى أبعد من ذلك في مخططها ، تفتح عنبر النساء مرة كل شهر بعد أن تعمد إلى دس المساحيق المهيجة في الطعام ، فيختلط الكل في بهيمة عمياء تشبه سفاد الحيوان (...) وتحال النسوة الحوامل إلى مراكز للوضع ، دون أن تحظى الواحدة منهن بلذة الأمومة " ²

وبهذه الفكرة الشيطانية ، يحدد (جلالته) النسل العربي ، من خلال ضبط وقت التزاوج بالطريقة الحيوانية - إن صح التعبير - ومنه يظهر نسق التهميش لهذه الفئة . التي تغيب عنها أدنى شرط الحياة، ومن هذا التزاوج الحيواني ، ينتج عنه الولدان ،ينشؤون في المؤسسات

¹ الرواية ، ص: 170

² الرواية ، ص: 178

الحاضنة يتلقون فيها أسوأ أنواع التربية، بل إنشاء وليس تربية تقول (هيلينا) "كانت حياتي في الملجأ أشبه بحياة الحيوان في الحواضر، تتولانا الأيدي بالإنشاء فقط دون التربية . وتكالت علينا المربيات بأقوال فيها من الغلظة والوقاحة ما فيها"¹

ومما سبقي مكن أن نخلص إلى أن هناك أنسقا مضمرة تمثلت في هدم المجتمعات ، من خلال إلغاء هذه المؤسسة المهمة في بنائه ألا وهي الأسرة ؛ فقد سعى نظام (جلالته) إلى هدم المجتمعات من الداخل - أي الأسرة - وإعادة بنائها وفقا لمبادئه ، وتوجهاته ، ومن ثم السيطرة على العالم.

وفي الأخير يمكن القول أن رواية (جلالته الأب الأعظم) قد حوت العديد من الأنساق الاجتماعية ، الخفية منها والمعلنة ، يوضح من خلالها (مونسي) خطط العقل الشيطاني (جلالته) في التحكم والسيطرة على العالم برمته ، وفي الأنساق الاجتماعية نلمس تشظي المجتمع وانقلاب موازينه تحت وطأة التمييز الطبقي ، الذي فرضه (الأب الأعظم) مُضْمِرًا نسقا بغيضا ، وهو التعصب العرقي اتجاه العرب فوضعهم في الطبقة الدنيا وتركهم يرزحون تحت سطوة الجهل بعدما سلبتهم الآلة إرادتهم و فكرهم .

ومن الأنساق الاجتماعية أيضا ما كان مضمرا متمثلا في اضمحلال المجتمع المدني الذي سعى جلالته إلى هدمه من خلال نبذ ما تقوم عليه المجتمعات ، من أخلاق وعادات وتقاليد ، وفي المقابل دعا إلى الإباحية ونشر الرذيلة ، في أوساط المجتمع ، بإنشاء القصور والملاهي ، فيغرق في الملذات . مما يؤدي إلى تفكك الأسرة ، فألغى بذلك نظام الزواج ليتحول إلى نظام تحكمه الشهوة الحيوانية ، وتصبح التربية مهمة المؤسسات الحاضنة ، لتتولى الآلة إنتاج أفراد أشبه ما يكون بآلات صماء مبرمجة كل حسب وظيفته بلا مشاعر ولا أحاسيس ، فباستعمال التكنولوجيا استطاع (الأب الأعظم)السيطرة على العالم بتخدير العقول

¹ الرواية ،ص :158.

واستعباد الناس تحت رداء الحكومة العالمية الموحدة . وكل هذا قدمه (مونسي) في قالب علمي خيالي .

ثانياً: نسق دونية المرأة وفحولة الرجل في رواية (جلالته الأب الأعظم) :

لقد قام النقد الثقافي كردة فعل على تبعات النقد الأدبي الذي يعطي من قيمة كل ما هو جمالي وبلاغي في النصوص والخطابات دون الولوج إلى أعماقها وسبر أغوارها للبحث في مرجعياتها الثقافية والفكرية والدينية وذلك من أجل الكشف عن العيوب النسقية التي ترسخت في المخيال الجماعي العام .

ومن أكثر التمثلات التي تولى البحث الثقافي الكشف عنها هي دونية المرأة وفحولة الرجل، على اعتبار أن الثقافة ظلت الحصن الحصين للرجل الفحل ، الذي نال كلّ العلو والصدارة في مقابل تهميش وتحييد كل ما له علاقة بالمرأة والأنوثة . ورواية الخيال العلمي لحبيب مونسي قدّمت المرأة كنسق مهم وبشكل مختلف وهذا ما سنحاول التطرق إليه .

1- نسق دونية المرأة في الرواية :

لعل العدو الأول للمرأة هو الثقافة فمنذ الأزل أسهمت هذه الأخيرة في تهميش دور المرأة على حساب الفحل -الرجل - وليس هذا على مستوى العرب فحسب بل حتى على مستوى الثقافات العالمية" فالرجل عقل والمرأة جسد هذا ما تعلن عنه كتابات فحول الفلاسفة كسقراط وأفلاطون.¹

¹ عبد الله الغدامي ، المرأة واللغة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط3، 2006، ص:9-10 .

ولقد ساعدت الظروف الاجتماعية التي سادت العصور القديمة في ترسيخ هذه النظرة الدونية " فطالما كان يُنظر إليها كمصدر للشّر والحروب . يتجلى ذلك في وأد البنات والتّطير بميلادهن والخوف منهن لأنهن قد يتحولن إلى سبايا ويجلبن العار والخزي للقبيلة " ¹.

وربما لا نجد مثل الإسلام منصفا للمرأة ومعتدا بإنسانيتها ووجودها وواقفا ضد ذلك اللّوعي الجمعي الثقافي ومهدبا إياه ليعيد لها مكانتها كإنسان ، فهي مثلها مثل الرجل لا تقل شأنًا ولا مسؤولية عنه ، قال تعالى " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " ².

إلا أن المكانة التي حظيت بها المرأة في ظل الإسلام ما لبثت وأن اصطدمت بجدار من الطّابوهات ، فلا تزال دونيّة المرأة متجذّرة في ذهن الشعوب على الرغم من تاريخ النّضال الطويل الذي خاضته المرأة من كل الأصقاع ، وهذا ما تكشف عنه الأنساق المضمرة والتي تنتبثق هنا وهناك في جل الخطابات والنصوص على اختلاف أجناسها و مرجعياتها الفكرية.

وهذا ما نلمسه وبحدّة في رواية "جلالته الأب الأعظم " فعلى طول خط السرد كانت المرأة معطوبة الهوية مسلوقة الإرادة تحركها أهواء الدّولة العالمية كيفما تشاء، حيث قدّمها الرّوائي بصور مختلفة :

1-1 المرأة الجسد :

تجنح السّلطة البطريركية إلى تهميش المرأة وحصرها دائما في ثنائية (المرأة - الجسد) هذه الثنائية التي شكلت محورا بارزا في مؤلفات الفلاسفة والأدباء منذ القدم مذ عهد أفلاطون وسقراط وأرسطو، وقد أنبرى الكتاب يتنافسون في وصف الجانب الحسي للمرأة وتحديد المعايير

¹ سارة بوروية ، تشكيل عوالم الذكورة المعطوبة في السرد النسوي (رواية مخالبا المتعة لفاتحة مرشيد أنموذجا) ، المدونة ، جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف ، الجزائر المجلد 8، العدد 3 ، سبتمبر 2021 ، ص: 2876 .

² سورة التوبة ، الآية : 71 .

التي تعد ميزانا لاكتمال الأنثى كالشعر الطويل والعيون النَّاعسة أو الخصر المستدق بل لم يترددوا في تقديم جسد المرأة على مآدبة باذخة من العراء والإغراء .

ومن هذا المنطلق حاولنا مقارنة نسق الجسد الأنثوي في الرواية وأسلوب تناوله وتمثالاته المنبثقة عن التحولات التي تعيشها الأنثى في العالم الذي تخيله (حبيب مونسي) .

لا يشدّ الروائي في روايته -التي هي من المفترض تجاوز للزمن الحاضر إلى المستقبل- عن غيره من المؤلفين فيوصف الجانب الحسي للمرأة (فإشتار) على قدر من الجمال يجعلها ترضي العيار الذي وضعته السلطة البطيريركية للأنثى ، وقبل أن يذكر اسمها ظل يصفها بالحسنة .

"وقالت دون أن ترفع بصرها إلى الحسناء"¹

"هزّت الحسناء رأسها"²

"قامت الحسناء من سجودها"³

وعندما يسألها (جلالته) عن اسمها فتجيب "إشتار"⁴، هذا الاسم الذي يحيلنا مرة أخرى إلى الحسن والجمال لما يحويه من دلالة تاريخية أسطورية . ثم يبادرنا (حبيب مونسي) بوصف الحسناء وصفا حسيا بمقياس فحولي بحت إذ تمتعت بشعر أشقر كسبائك الذهب وإذا هزت رأسها "تتأثر شعرها الأشقر على كتفيها وكأنه سبائك الذهب تذوب تحت الأنوار المنبعثة من الجدران ومن مراهاها " ، وابتسامتها التي تضاهي " شروق الشمس على مياه البحر النَّاعسة في صباح من أيام الصيف الحاملة."⁵

1 الرواية، ص:65.

2 الرواية ، ص:66.

3 الرواية ،ص:67.

4 الرواية ، ص:81.

5 الرواية، ص: 66 .

وعينيها لا يمكن إلا أن "تموج في خضرتها وكأنها البحر الذي جعل من الطحالب والنباتات الطفية فراشا له تتراقص فيه الأضواء مبدعة خضرته أيما إبداع..¹"

وأما جسدها فيذهل كل من رآه إذ " كانت الوصيفة تقف أمامها مشدوهة تنظر إلى جسدها الغض فتنزلق نظراتها إلى خطوطه طولاً وعرضاً²"

هذا الوصف الحسي الذي تتمتع بهما (إشتار) هو المؤهل الأول لها كي تكون في مصاف الحسنات اللواتي اختارهن (جلالته) كي يكن من حريمه فقط ، وهو الذي يعلي من قيمتها ومن شأنها قبل أي شيء آخر، تلك قسمة الذكور التي تشرّبتها المجتمعات على مدى عقود طويلة ، تلك هي ثقافة الجسد ، ثقافة الوهم التي تربط بين الأنوثة والجمال .

فها هي (إشتار) تحضر نفسها للقاء (جلالته) وتسابق الزمن لتبدو في أبهى صورة "وهي منهمة في تسوية أطراف رجليها بمبرد صغير من الذهب"³ ثم "أسرعت إلى قارورات الطيب تصب من هذا وترش من ذلك ، وتقف أما المرأة وتجري إلى تلك."⁴

إنه نسق خطير ينبثق من أعماق الخطاب الروائي ، ذلك النسق الذي يجعل النساء يتسابقن نحو الجمال ونحو إرضاء المخيال الذكوري وعتار الأنوثة الذي سطره لهن ومن هنا أخذت المرأة تهمل أدواراً أهم ولا تهتم بشيء بقدر ما تهتم بجمالها و هو ما يريده صنّاع الخراب .

والسؤال الذي يطرح نفسه ، ماذا لو لم تكن المرأة على قدر من الحسن ؟ ، ماذا لو لم تكن " ذهبية الشعر ، عسلية العينين ، دقيقة العرنين ، ممتلئة الشفتين ، يتفجر وجهها جمالاً"⁵ مثل (دينا)؟؟ ماذا لو لم تكن جميلة ورشيقة مثل (هيلينا) أو ك(دينا) واحد ذات الشعر " الفاحم الأسود المنسدل على وجهها اللطيف تقف على عود غض تتمايل أعطافه فتنة وجاذبية"⁶؟؟؟!

¹ الرواية ، ص:122.

² الرواية ، ص:67.

³ الرواية ، ص:65.

⁴ الرواية ، ص:67.

⁵ الرواية ، ص:225.

⁶ الرواية ، ص:276.

هنا " يأتي التّصور المسكوت عنه ، وهو ماذا لو لم تتصف بهذه الصفات ؟ " ¹ ليتساءل (الغذامي) ثم يردف قائلاً طبعاً " لا يهم الثقافة الذكورية أن تضع جواباً لسؤال أحقق مثل هذا لأن المرأة في هذا الحالة ستخرج عن سياق الأنوثة. " ²

لكن (حبيب مونسي) يتولى مهمّة الإجابة وينعت المرأة التي لا تخضع لمقاييس الثقافة الذكورية بالغريبة حين تقابل (موسى) مع امرأة " غاب لونها في بياض شعرها لا يستطيع الناظر إليها تقدير سنّها " ³ ، وظلّ يتأملها بعينيه باحثاً عن الجمال الذي عرفه وألفه في (إشتار) الحسنة فلم يجد منه شيئاً بل "لم يجد فيها شيئاً من المرأة " ⁴ هكذا يقول الروائي مضمراً نسفاً بغیضاً-ربما عن وعي أو غير وعي- وهو غياب المرأة بمجرد غياب جمالها و لم يجد المؤلف حرجاً من نعتها بـ " المرأة الغريبة .. " ⁵ وليس حسنة- كما اعتاد أن يطلق على نساء روايته - وحينها أصبحت ابتساماً (موسى) في وجهها إنجازاً فهو بعد برهة من التأمل في هذا الشكل غير المألوف بالكاد " استطاع أن يبتسم في رفقة ودفء .. " ⁶

1-2 المرأة الأم :

الأم هي الحزن الأول الذي يتكئ عليه الإنسان منذ ولادته وهي المربي الأول له وبسقوط الأم " تسقط الأسرة ويتراجع الجوهر الإنساني المشترك ويصبح كلّ البشر أفراداً طبيعيين لكل مصلحته الخاصة وكل إنسان يمثل ذرة تصطدم بذرات أخرى " ⁷ ، وعندها سيتشتت

¹ عبد الله الغذامي ، ثقافة الوهم ، (مقاربات حول المرأة والجسد) ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 1998، ص:61.

² الرواية، ص:61.

³ الرواية ، ص:148.

⁴ الرواية ، ص:148.

⁵ الرواية ، ص:148.

⁶ الرواية ،ص:149.

⁷ عبد الوهاب المسيري، قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثوي، نهضة مصر للطباعة والنشر و التوزيع ، الجيزة ، القاهرة ، ط2 ، 2010، ص:30.

المجتمع وسينطوي الإنسان تحت فردانية مخيفة "وسيمت تسوية الجميع بالحيوانات والأشياء وتسود الواحدية السائلة التي لا تعرف الفرق بين الرّجل والمرأة وبين الإنسان والأشياء".¹

وهذا ما أسس له النظام الجديد في الرواية حيث اقتصر دور المرأة على إمتاع السّادة وألغى دور الأم من برمجة النساء إلا أن ذلك النداء الفطري وغريزة الأمومة المتجذّرة في المرأة راودت (إشتار) عند أول وهلة من لقاءها بموسى الصبي الصغير " هذا الصبي العجيب الذي استطاع في لحظة أن يذيب التّلوج التي تراكمت على فؤادها وقتلت فيها عاطفة الأمومة وحنانها ودفنها. فها هي تتفتح للعطاء كما تتفتح الورود بعد ذهاب الصقيع"²، وها هي براعم الأمومة تتفتح في قلب (إشتار) الحسناء فكأنها كادت تنسيها كل ذلك الحسن والبهاء الذي تميزت به وحين نصغي إلى المقطع السّردي نجده يصف حالتها بعد اكتشافها لمشاعر الأمومة وهي مشدوهة بشيء آخر غير حسننها وبهائها" فلو نظرت في المرأة بعد هذا الاكتشاف لما رأته شكلها وصفاء بشرتها وانسدال غائرها الشّقاء و لرأت في كلّ ذلك معنى الأنوثة أولاً ومعنى الأمومة ثانياً³

فالأنوثة عند الكاتب مرتبطة بالأمومة ، إلا أن التقدم التكنولوجي قضى على كلّ تلك المشاعر الصافية وعلى تلك الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وها هي (إشتار) تعود إلى حقيقة الأم التي تدبُّ في أوصالها على الرغم من أنّها " لم تعرف ساعة آلام الحمل الخفيف التّقليل ولا وجع المخاض المضني ..ولا هزات الوضع القاتل ..لترى ثمرة حيّة تسقط من تحتها وتتمو يوماً بعد يوم، دافعة سيل المسرات في جدول الأيام المتدفق أمامها"⁴

يبدو حبيب مونسي متصالحا مع المرأة في خطابه الروائي حين يحاول أن يبدي فظاظة النّظام في حرمانها من هذا الحق ولكنه في الوقت ذاته يحيلنا إلى حقيقة أخرى متجذّرة

¹ المرجع نفسه ، ص:30 .

² الرواية ، ص: 96 .

³ الرواية ، ص:96.

⁴ الرواية ، ص :96.

في المخيال الثقافي وهي الوظيفة البيولوجية للمرأة التي تحدد قيمتها في أداء دور الأمومة دون الالتفات إلى " كونها ذاتا جوهرية"¹ لها قيمتها الذاتية بعيدا عن أي مسميات . فلو نظرنا على الجانب الآخر من الصورة لما وجدنا أحدا يحدد قيمة الرجل بالأبوة ، عكس المرأة التي يرتفع شأنها بقدرتها على الإنجاب وتصبح ذات مكانة وركيزة في المجتمع .

وأما إن غابت هذه الوظيفة عن المرأة سواء أكان ذلك بسبب عدم الزواج أو عدم القدرة على الإنجاب أو لأي سبب آخر تفقد هذه القيمة ، التي يرى (حبيب مونسي) أنها حقيقة وجود المرأة الثانية بعد الأنوثة في معرض حديثه عن مشاعر الأمومة التي يثيرها (موسى) في نفس (إشتار) " تعود بها الابتسامة البريئة إلى حقيقة الوجود : وجود الأنوثة فيها..وجود الأمومة فيها.. "2

1-3 المرأة الآلة :

تجلت صورة (المرأة / الآلة) في شكلين :

أ- المرأة الأنثى / آلة للمتعة :

إن اعتبار المرأة كائن خالص للمتعة نسق مترسخ من القدم في الذاكرة البشرية من شرقها إلى غربها ، فقد عدّها أفلاطون في كثير من الأحيان " رمزا للشهوة " ³، وقد حفل الموروث الثقافي الإنساني بالأساطير والروايات التي حصرت المرأة في هذه الصورة النمطية وجرّدتها من العقل والتفكير ، إذ تمنع الثقافة " الجسد المؤنث من حقه الطبيعي في إرسال إشارات عقلية، إنّه جسد محصور حصرا قاطعا في لغة واحدة ، تحمل إشارات الإثارة الشبقية ."⁴

¹ عبد الله الغدامي ، ثقافة الوهم ، ص:77.

² الرواية ، ص:97.

³ مصطفى النشار ، مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، دط ، ص:88.

⁴ عبد الله الغدامي ، ثقافة الوهم ، ص:82،83.

وتظهر المرأة في الرواية التي بين أيدينا آلة للمتعة يتلذذ بها الرجال وقت ما شأؤوا ، بعدما خضعت لأحكام النّظام الديستوبي ، الذي فرض عليها إملاءاته وقتل فيها روحها ليحقّق ما أطلق عليه مجازا خير الإنسانية جمعاء .

فها هي فتاة لا تتعدى خمسة عشر ربيعا اعتادت أن تؤدي هذا الدور بصورة نمطية في العربة الفاخرة التي استقلّها (موسى) وفي طريقه " شعر بشيء يتحرك في عمق المقعد بجانبه " ¹ كان هذا الشيء "شكلا آدميا يرفع رأسه إليه بابتسامة مخدّرة حالمة." ² إنها نظرات الآلة الباهتة التي أبصرها في عيون كلّ من مرّ بهم ، وكى تكتمل صورتها كوسيلة للمتعة كان لزاماً أن تكون الفتاة من ذوات " الشعر الناعم المتدلي غدائر على جسدها العاري ."³ فقد جرّدت الحضارة الغربية المقيّنة المرأة من ثيابها كما جرّدتها من ذاتها و وجودها .

وما هي إلا لحظات حتّى بدأت تمارس وظيفتها التي برمجت عليها فما هي تمد " أناملها نحو ثيابه تفك أزرها تحلّ عقدها"⁴ وسرعان ما يلتفت إلى ما تضرره فيمسكها بقوة ويبعدها لتحتار عندها في السؤال الذي وجهه إليها بمن تكون ؟ إنّه سؤال سهل وعلى الرغم من ذلك تصعب عليها الإجابة ، وكيف تجد الجواب والرّد؟!، وهي لا تعرف عن نفسها سوى أنّها : " أثاث من أثاث هذه العربة " هذا الأثاث لخدمة السّادة ،ونلاحظ هنا أن الروائي قد شبّه الفتاة بالأثاث مما يزيد في تعميق الدلالة النسقيّة التي تضررها هذه الأسطر ، فالنظام العالمي الجديد يختار آلة المتعة النسائية بدّقة مفرطة كي تتماشى مع أثاث المكان فهي أشبه بلوحة من لوحاته، وحينها " امتلأت نفسه تقززا وكراهية لهذا النّظام الذي جعل المرأة أثاث يُقتنى لا يحسب له حساب، بل يخير لونها وسنّها حسب لون الأثاث من حولها ."⁵

¹ الرواية ، ص:150 .

² الرواية ، ص:150 .

³ الرواية ، ص:150 .

⁴ الرواية ، ص:151 .

⁵ الرواية ، ص:151 .

وفي النَّزَل وبين براثن الوحدة الموحشة ها هو يقابل آلة أخرى من آلات المتعة على شكل امرأة ،وعندما طلبها للحديث قَدِمَتْ "هيلينا آلة اللذة"¹في ثوب يثير الشهوة " ثوب خفيف لا يكاد يستتر من جسدها شيئاً ، تعرض شفافيته كلِّ مفاتيحها (...) و جلست دون أن تحاول ردّ طرف الثوب الذي انزاح عن فخذيها"² عندها عرف (موسى) أنّ هذا أحد التّعاليم التي برمجت عليها . وسعى هذه المرة إلى محاولة إزالة هذا الزّان الذي غشيها ففتش في سجل ذاكرته عما يمكن أن يفيدّه فإذا به يتذكر التنويم المغناطيسي وها هي تجربته تنجح فقد استطاع (الوحي الصادق)"أن يزِيل القشرة المفتعلة التي وضعتها الآلة ..آلات التحضير."³ويزداد بهجة وسرورا عندما عاد لها الحياء والحياة فقد " رآها تلتفت إلى صدرها المكشوف فتحاول ستره وعلى فخذيها العاريين ، فترد عليهما الرّداء وقد رقصت أهدابها خجلا."⁴

وهنا يحاول (حبيب مونسي)أن ينقلنا في عوالم السرد إلى مصانع الآلة البغيضة والتكنولوجيا المدمّرة ، إلى المراكز التي يتم فيها تصنيع المرأة اللّذة وها هي (هيلينا) تنبش في صفحات ذاكرتها الخاملة منذ سنين عديدة وتقول : " ثم عرضت على آلة ضخمة ، تبتلع جسدي وتتلثم أعضاء التناسلية ، بما يشبه اللذة تارة وما يشبه الألم مرّة أخرى ، حتى غدا جسدي طيعا لها يتلهف العودة إليها."⁵وتم وضعوا الشاشة في غرفتها التي أصبحت " ميدان لعرض الأفلام الجنسية الخليعة."⁶وهكذا صار الجنس والشهوة هما غذاؤها الوحيد وسر وجودها ويأتي دور (العقل الجبار) ليكمل هدم إنسانية الفتاة قائلاً: " هيلينا ..لقد وهبتك الجمال والرشاقة وصنعت منك أداة للذة والحب . أنت الآن ثمرة جلالتنا نهبها للطبقة الأولى من السادة الذين

¹ الرواية ، ص:160

² الرواية ، ص:154.

³ الرواية، ص:156.

⁴ الرواية ، ص:156.

⁵ الرواية،ص:158.

⁶ الرواية، ص:159.

يعملون على سلامة البشرية وراحتها ..¹ ثم يكمل خطابه لها " كوني هيلينا اللذة .. لتتالي رضا جلالتنا .."².

ثم ما لبثت أن عادت " القشرة من جديد (...) وعاد السحر يرين على القلب والروح .. وصارت هيلينا آلة اللذة .."³ بعد أن تذكرت نص (جلالته) .

إنها حقيقة الآلة عندما تتجاوز حدود المنطق وعندما لا تجد من يردعها ، يصورها لنا الكاتب بشكل آخر غير الشكل الذي تعد به الحضارات الجديدة ، هذه هي (حملات التطهير) وهذه هي دعوات التقدم والتحرر تتكشف عن أنساق أخرى لا تريد فيها للبشرية " سوى الخراب .. خراب في العقول والنفوس والأرواح .."⁴ ولا ترى في المرأة إلا آلة للذة .. آلة للمتعة .

ب- المرأة الحربية /آلة الموت :

الرواية صعيد زلق تتوالى فيها الأحداث ، تتشابك مضمرة أنساقا مختلفة تختفي وتتوارى وراء نسيجها الأدبي الجمالي . وهذا فصل آخر من فصول روايتنا بيدي لنا نسقا مغايرا ، نسق هو ثمرة لاستشراف المستقبل تكون فيه المرأة مرّة أخرى غريبة عن كيانها عن وجودها وعن نفسها ..

هي حسناء " في ربيع الحياة ، ذهبية الشعر ، عسلية العينين ، دقيقة العرنين ، ممتلئة الشفتين يتعجر وجهها جمالا (...) الناظر إلى عينيها العسليتين لا يجد فيهما شيئا من الدّفء ، بل فراغا هائلا تتحرك فيه العواطف ولا تثبت "⁵ لأن "عقلها الآلي لا يتوقف عن العمل والتخطيط "⁶

¹ الرواية، ص: 159-160.

² الرواية، ص: 160.

³ الرواية ، ص: 160.

⁴ الرواية ، ص: 161.

⁵ الرواية ، ص: 225 .

⁶ الرواية ، ص: 230.

إنها (دينا) ضحية أخرى من ضحايا الدولة العالمية الجديدة التي سمحت للتكنولوجيا أن تتحكم في مصائر النساء وأن تتلاعب بهم فتحولهم إلى آلات وإلى أجساد بلا روح ، لكن هذه المرة لن تكون آلة للمتعة بل "آلة الموت" ¹. من أجل ذلك تمّ تدريبها هي ورفيقاتها على أعتى فنون القتال وشكّل الكاهن (جوراس) منهن فرقة حربية أسرّ أمرها حتى عن (جلالته) "تتجاوز الخمسين فتاة ولكن طاقتها الحربية تفوق الفيلق العادي ، وخبرتهن وفنهن يفوق طاقة القوة النظامية." ²

ونلاحظ عظمة قوّة هذه المرأة الحربية/ آلة الموت في المقطع السردى الذي بين أيدينا : " تصلّبت عضلات دينا فجأة ثمّ انطلق ذراعها كالسهم وأصابت قبضتها المعقودة صدر الضابط ، فارتفع عن الأرض قليلا ثمّ ارتمى إلى الوراء ، وكأنّ قوة عصفت به فاقتلعته من الأرض اقتلاعا " ³.

ويرسّخ حبيب مونسي نسق (المرأة / آلة الحرب) في شخصية دينا ورفيقتها بأن يتم تجريدهن من الاسم الذاتي وتسمى كل مجموعة باسم مشترك فهذه مجموعة (دينا)، وتلك مجموعة (روزا) والأخرى مجموعة (فولقا)... ويتم التفريق بين عناصر المجموعة الواحدة والأخرى بالتعداد كأنهن آلات تحرّجوا من وضع أسماء لهن (دينا) ، (دينا واحد) ، (دينا اثنان)... ولا تختلف (دينا) كثيرا عن الآلة في قوّتها و قسوتها فلقد "برمجت للقتل وتدرّبت عليه ذبّاحا، وشنقا ، ورميا وتعذيبا ...تساق إليها الضحايا من كلّ جنس لتجرّب فيهم كلّ الطرق الممكنة" ⁴. الأمر الذي جعل الضابط يعتقد جازما أنّها آلة بالفعل ويسألها: "لماذا صنعوك على هيئة امرأة جميلة قاسية القلب ؟" ⁵

¹ الرواية، ص:257.

² الرواية ، ص: 221 .

³ الرواية ، ص:229.

⁴ الرواية ، ص:229.

⁵ الرواية، ص:259.

ج- المرأة /الإنسانة بعد البعث :

لكن هذه الغشاوة الآلية ما لبثت أن تلاشت بعد (البعث) وتحوّلت برودتها إلى دفء وعادت لها الحياة التي نضبت في عروقها منذ زمن بعيد ، فلقد "تخلصت من القشرة الزائفة ووجدت في نفسها فتحة للحب"¹ ولقد " اكتشفت أنوثة المرأة"² وغيرتها وكل مشاعرها وهاهي تباشير الإنسانية تعود لها من جديد .

الإنسانية التي طمست معالمها التكنولوجيا اللّعيّنة فقد ذرفت الدموع لأول مرّة ، دموع الفرحة بنجاح الجهاز الذي سيخلّص البشرية من ظلماتها وكل ذلك كان بفضلها وبفضل شجاعتها هكذا أراد (حبيب مونسي) أن يضمّن نسقا كامنا في ما وراء الحكي يعلي من قيمة المرأة متمثلا في شخصية (دينا)الإنسانة بعد أن كانت آلة لا روح فيها ولا حياة وذلك بأن جعلها منقذا للبشرية وسببا في خلاصها من الدّولة العالمية التي أرادت لها الدخول بين براثن الغفلة والتّيّه.

وبناء على ما سبق نستنتج أن وجود المرأة في الرّواية كان وجودا باهتا فقد أخطت الدّولة العالمية من شأنها، وتلخّص دورها في أن تكون إمّا آلة للمتعة أو آلة للموت والحرب.

2- نسق الفحولة في الرواية:

حين تذكر كلمة فحولة تقفز إلى أذهاننا كتب فحول الشعراء التي لطالما حفلت بهذا المصطلح في النقد الأدبي القديم و ما يشير إليه من قدرة على الإبداع والإنتاجية عند كثير من النّقاد، أما النّقد الثقافي فله في ذلك رأي آخر ، فما المقصود بالفحولة ؟ وما هي الدّلالات التي تتّخذها في ضوء النّقد الثقافي ؟

¹ الرواية ،ص:262.

² الرواية ،ص:263.

اتفقت معظم الدلالات المعجمية على " أن كلمة فحولة مشتقة من (فَحْل) و(الفَحْلُ) هو الذكر القوي من كل حيوان".¹ ثم انتقل معناها للدلالة على قوة الرجل " والرجل الفحل هو الرجل الشبق القادر على ممارسة الجنس دون كلل أو ملل".² ثم توسع مفهوم الفحولة ليشمل القوة الجسدية وكل مظاهرها ، ونظرا للعوامل الطبيعية والاجتماعية التي كانت تسود الصحراء العربية قديما فإن القوة كانت من أهم القيم التي تمسك بها العربي من أجل البقاء. " وبسبب الصراع الدائم والمتكرر من أجل لقمة العيش " تمّ تعظيم هذه القوة -لا سيما الجسدية وما يرتبط بها من شدة وقدره على الاحتمال وبهذا تكون الذكورة هي القيمة المهيمنة على الفكر وسلوكه"³ وبقراءة خاطفة لبعض صفحات الشعر العربي يتسنى لنا أن نرى حجم التعظيم الذي حظي به الرجل (الفحل) في المخيال الاجتماعي في مقابل التهميش الذي حظي به الطرف الآخر (المرأة).

وهي الصورة النمطية التي لم تسد المجتمعات العربية فحسب بل شملت كل المجتمعات البشرية لذا يحاول البحث الثقافي إمطة اللثام عنها وعن تبعاتها كصناعة الطاغية السياسي والاجتماعي والثقافي ، وذلك بالكشف عن الهيمنة الفحولية التي ظلت "مفهوما ثابتا يرتبط بالمؤهلات الجسدية للرجل وهيمنته الحضارية / التاريخية التي أخذت شرعيتها من جملة القيم الأبوية/البطريكية".⁴ وعلى اعتبار أن الفحولة بمختلف تمظهراتها شغلت حيزا كبيرا من النص السردي الذي بين أيدينا، فإننا سنحاول تسليط الضوء على نسقي فحولة جلالته والفحولة المرضية كنسق بارز وظاهر بحدّة في الرواية . والسؤال الذي نحاول الإجابة عليه هو : ما هي السياقات التي تمثل فيها هذين النسقين ؟ وكيف تمثلا ؟

¹ ينظر: حسين علي الدخيلي وهند كامل خضير ، مصطلح الفحولة و تمثلاته في شعر شواعر العرب (في العصرين الجاهلي والإسلامي) ، الإشعاع ، جامعة ذي قار ، العراق ، العدد الثامن ، جوان، 2017، ص: 334.

² عايدة الجوهري ،عصاب الفحولة ، الحوار المتمدن ،العدد 6036 ، 27 -10-2018 ، 15:37،

³ <https://www.ahewar.org> ، تاريخ الاطلاع : 20-05-2022 ، التوقيت : 15:30

³ حسين علي الدخيلي وهند كامل خضير ، مصطلح الفحولة و تمثلاته في شعر شواعر العرب ،ص: 334 .

⁴ سارة بوروية ، تشكيل عوالم الذكورة المعطوبة في السرد النسوي ، ص: 2873 .

1-2 فحولة جلالته الأب الأعظم :

إن الفحولة كما أسلفنا الذكر هي منتج ثقافي بامتياز ظلّ يحيط الرّجل بهالة من التقديس والتبجيل تمنحه نوعا من السلطة وترسخ من المركزية الذكورية التي تحيل ضمنا إلى تهميش الطرف الآخر من المجتمع وهو الأنثى .

وبالعودة إلى الرواية التي بين أيدينا نرى أن (حبيب مونسي) قد مثل في شخصية " جلالته الأب الأعظم " صورة ذلك الملك الشبق الذي لا يكلّ ولا يملّ من ممارسة الجنس ويحيط نفسه بعدد لا حصر له من النساء " على اعتبار أنّ القدرة على المعاشرة هي من سمات الفحولة وهذا ما أدّعه الثقافة الرّسمية والشّعبية فهذا امرئ القيس كان ينتقل من امرأة إلى أخرى لا يكلّ ولا يمل¹ ونجد في (الرّجل المعجزة) الهوس نفسه ويظهر هذا من خلال المقطع السردي الموالي: " لقد استطاع الرّجل المعجزة أن ينشئ لنفسه حريما فريدا ، حشد فيه كلّ فتاة أرادت أن تهب نفسها لجلالته خلال تقلبه في أطراف الأرض، وعاد بعد جولته بجيش من الحسنات"² وفي هذه الأسطر أراد الكاتب أن يوجه نظر القارئ إلى فحولة جلالته الجنسية بما تحمله من معالم بدائية تعكس مدى الفساد والهوان الذي يدعو إليه (الرّجل المعجزة) ، بل إنه يجعل من الفساد الأخلاقي والدّعارة تكريما و جزاء لكل من يبدي في عمله فقد قرر "إقامة قصور الملذّات في أطراف المعمورة يقدّمها جزاء للولاء ، فهي تخدم سياسته خدمة مباشرة بما تقدّم للمنعم عليه من مسرّات . تعد الإقامة في قصر من تلك القصور أكبر نعمة يطمح إليها العامل فيكون سعيه في الحياة هو الوصول إلى عتبة القصر."³

هنا يتجلّى لنا كيف أن القيم الرديئة يمكن أن تتغلّف تحت غطاء الجزاء والعطاء فالفحولة تبيح لنفسها استعباد المرأة واسترقاقها و وضعها بين مخالب متعة الرّجال وشهوتهم ، ذلك من

¹ ينظر: أحمد قاسم أسحم ،النسق الثقافي المضمّر في شعر نزار الخالص بالمرأة (ديوان أحمد قصادي -نموذجا) ،مجلة بحوث جامعة تعز، يوليو 2019، العدد20، جامعة تعز ،اليمن ، ص:18.

² الرواية ، ص:67.

³ الرواية ، ص:67.

أجل بناء وتطوير الدولة العالمية وبقائها ، فبهذه الطريقة يضمن دوام سعي الشعوب وراء تحقيق رضاه "فمن حصل على الجزاء مرةً قضى العمر في ارتقاب الفرصة الثانية وربما ضحى بكل شيء من أجل ذلك ، حتّى لو كانت الصفقة تتضمن الولد"¹

كما نلمح تشابها كبيرا في تهميش النساء بينه وبين شهريار فإذا كان هذا الأخير يقتل كل امرأة بعد أن يتزوجها فإنّ (الرجل المعجزة) يُميتها وهي على قيد الحياة فإما أن تتحول إلى خادمة في حرمه أو تحوّل إلى آلة للمتعة في أحد تلك القصور فكل فتاة تدخل حجرته الخاصة لا تعود لها. " فإن رضي عنها جلالته استبقاها في الحريم مدة ثم تتحوّل إلى خادمة ، أو وصيفة. و إلا أمر ببعثها إلى قصر من قصور الملذّات"²

وفي سياق آخر يحاول الكاتب أن يوظف نسق الفحولة المصطنعة التي تختبئ وراء هالة من الأضواء والأنوار المزيفة والتي تعود أن تتبعه في كلّ مكان يحلّ فيه حتى " يبهر بها عيون الغير فيجد في دهشتهم لذة ما وراءها لذة"³ لكن سرعان ما يسقط عنه هذا القناع فتقلب فحولته إلى ضعف بعدما ظهر (الرجل المعجزة) "الرجل القصير الأسمر الدّميم ، الأعور يقف أمام إشتار ضعيفا تتطوي طبيعته على خبث سريره".⁴ الأمر الذي جعل بدنها يقشعر وتستاء من هذا المنظر فالصفات الذكورية التي كانت قد رسمتها في مخيلتها قد تلاشت، لأن الفحولة أوحث دائما إلى القوة الجسمانية ، وهي مؤهلات لا بد أن يمتلكها من تولى حكم العالم بأسره. وبفقدانه لهذه القدرة الجسمية فقد أيضا مظاهر الولاء التي أسقطها عنه الكاتب كما سقط قناع الهيبة إذ ترفض (إشتار) أن تسجد له و" ظلّت الحسناء مكانها جالسة ، لا تتحرك."⁵

¹ الرواية ، ص:67.

² الرواية ، ص:65.

³ الرواية ، ص:70.

⁴ الرواية ، ص:72.

⁵ الرواية ، ص:72.

في هذه اللحظة كان لزاما على جلالته أن يستعيد فحولته المهزومة أمام امرأة من حريمه بقوته الخارقة ، فما عليه إلا أن يستخدم (جسر الخواطر) ، وهو سلاح " من أسلحته الخاصة التي دخل بها على سائر الناس ، يوسوس لهم بما يريد ، ويشاركهم في توجيه أفكارهم ، بل يدفعها إلى الوجهة التي يريد"¹ ، لكن حتى هذا السلاح لم يفلح مع (إشتار) فبذكائها وحسها المرهف استطاعت أن تغلت من قبضته . وبذلك " أدرك جلالته أن صوته لن يستطيع مع هذه الحسنة"² شيئا .

وتأسيسا على ماسبق يمكننا القول أنّ (حبيب مونسي) حاول أن يبدي هشاشة النظام وضعفه من خلال كشف عيوب الفحولة في شخص (الأب الأعظم) الذي ظهر كشخص شبق ينزع إلى تلبية ميولاته ورغباته ، يخفي ضعفه وراء أفنعة عديدة كالأنوار وجسر الخواطر التي سرعان ما سقطت أمام أنثى عنيدة .

2-2 الفحولة المرضية:

إن المخيال الثقافي هو القلاع الحصينة للفحولة فمنه تستمد سلطتها وهيمنتها بما ترمز له من مدلول بيولوجي كالقوة والخصوبة ، ولكن ماذا لو انزاحت هذه الفحولة عن مسارها ؟ ماذا لو غاب عن الجسد الذكوري أحد أهم سماته ؟

من هذا المنطلق يأخذنا (حبيب مونسي) في عالمه السردى إلى شكل من أشكال الفحولة المرضية والمعطوبة ، ممثلة في شخص (الكاهن جوراس) الذي منعه مرض أصيب به في شبابه من ممارسة فحولته فعوض ذلك بمشاهدة المناظر الماجنة. ويسمى هذا النوع من الشذوذ

¹ الرواية ،ص:74.

² الرواية ،ص:75.

بالتلصص الجنسي (Voyeurism) ويعرّف بأنه "ميل متكرر أو دائم إلى مشاهدة الآخرين وهم يمارسون سلوكاً جنسياً أو خاصاً مثل خلع الملابس ويؤدي هذا عادة إلى إثارة جنسية."¹

وقد هيأ (جوراس) لشهوته هذه كلّ السبل الممكنة فقام بإنشاء قاعة سرية داخل المعبد ليطل من خلال فوهاتٍها على ما يطفئ جذوة الشهوة لديه و" مهد لها أسبابها وخلق جوّها وألصق عينيه بالمنظار المقرّب يتفحص كلّ حركة، ويتلذذ بكلّ همسة."² ويصف (مونسي) حالته بعد مشاهدته لصور المجون هذه " كانت الصور تتجدد في مخيلته حيّة طافحة بالحركة تدفع الدم الخامل في عروقه ، وترفع من نبضات قلبه ، فيضطرب جسده اضطراب المحموم ، وتندافع أنفاسه تدافع أنفاس المصدور."³

وقد جعل (جوراس) من هذه الصور ذاكرة حيّة يسترجعها ليقطع الاتصال الخفي الذي يقيمه (الرجل المعجزة) كي يعرف ما يدور بخلد من يحادثهم ، فكلماً أراد أن يتخلص من هذا الجسر الخفي يتذكر هذه اللذة "وعندما اكتشف جوراس الأول هذا السر سارع يبحث عن وسيلة تمكنه من الابتعاد عن السيطرة العقلية وقلب الأمر من كلّ زواياه حتى اهتدى إلى التفكير في اللذة الجنسية."⁴

بل إنّه يلجأ إلى هذا السلوك كلّ ما أقدم على أمر مهم ، حتّى لما استدعاه (جلالته) لمناقشة خطر العناصر الغريبة التي يعتقد أنّها تهاجم الدولة يذهب مسرعاً إلى غرفته السرية ليمارس شذوذه المرضي و" بعدما اطمأن على خلوته وتأكّد من انسداد الباب ثمّ تجرّد من ثيابه كلية وظهر كالعود اليابس الدقيق، وقد أحنّته الأيام ، وسلبت منه شحمه ولحمه ، ولم تترك للعظم سوى الجلد يغطيه ويحميه."⁵ ونلاحظ في هذه الأسطر كيف أن الكاتب تعمد

¹ محمد أحمد خطاب، دينامية التلصص الجنسي لدى الذكور (دراسة حالة)، مجلة الإرشاد النفسي ، العدد 69، ج1، يناير 2022، جامعة عين شمس ، مصر، ص:4.

² الرواية ، ص:83.

³ الرواية ، ص:83.

⁴ الرواية ، ص:84.

⁵ الرواية ، ص:215.

الإيغال في وصف الكاهن بصفات فيزيائية تثير الاشمئزاز وهي صفات تتناسب مع قبح ما سيهم برؤيته وهو يلصق وجهه بالجدار الزجاجي الذي يستطيع من خلاله مشاهدة غرفة سرية شديدة الإضاءة "يتوسطها سرير دائري، تراكمت فوقه الأجساد العارية وقد التقت ببعضها البعض ، تتحرك حركات بطيئة ، يتابعها الكاهن الأعظم جاحظ العينين مشحون الصدر".¹

وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا أن (حبيب مونسي) قد استطاع ببراعته في وصف هذه المشاهد الجنسية أن يثير حفيظة القارئ وتقززه من شهوانية الكاهن التي لا يردعها رادع وهي صورة الفحولة لرجل من أهم رجال الدولة بل للكاهن الأعظم ، وهنا تتجلى لنا ثنائية المقدس والمدنس فالكاتب قد جعل هذا المجون يمارس في المعبد بل ومن طرف من يفترض به أن يكون رمزا للقدسية والطهارة ، وبذلك استطاع أن يكرس أكثر حقيقة الفساد المستشري في هذه الدولة الجديدة التي يبيح كاهنها الأعظم الشذوذ بل ويفرضه على الآخرين .

وبناء على ما تقدم فإننا نلاحظ وجود تضاد بين نسق (دونية المرأة / فحولة الرجل) فبينما كانت المرأة في الرواية هي الحاضر الغائب ولا تتعد عن كونها آلة للمتعة أو آلة للحرب والخراب . وأما أدوارها الفطرية فقد تم إلغاؤها من خريطة الدولة العالمية ، ومن قبل فحل الفحول (جلالته) الذي ظهر في صورة ملك شبق لا يسأم من ممارسة الجنس ، إشباعا لفحولته وعلى نسقه سار (الكاهن الأعظم) ، ولكن بفحولة مرضية، هذا الفساد والشذوذ هو النسق المخاتل الذي يبرز فساد دولة تدعي أنها ستخلص البشرية من هوانها .

وعلى العموم فإن الولوج في رواية الخيال العلمي يكشف لنا خبايا السطور، وما ضمنه (حبيب مونسي) باستشرافه المستقبلي من أنساق اجتماعية معلنة أو مضمرة تمثلت في تشطّي المجتمع وانحلال مقوماته وعلى رأسها الأسرة ، ونشر الرذيلة وفتح مجال الشهوة الحيوانية وقلب موازين العالم تحت سطوة النظام الطبقي ، ونلمح أيضا نسق دونية المرأة في موازاة هيمنة

¹ الرواية ،ص:216.

الفحولة التي حولتها إلى أثار للمتعة أو آلة للحرب . كلّ هذا بواسطة التكنولوجيا التي استطاع (جلالته) من خلالها تخدير العقول واستعباد الناس تحت عباءة (الدولة العالمية).

الخصائفة

الخاتمة :

تناولت هذه الدراسة حركية الأنساق الثقافية في رواية الخيال العلمي وفق مقاربات وآراء النقد الثقافي ، وكانت العينة التي اشتغلنا عليها فيها عبارة عن مدونة روائية تنتمي لأدب الخيال العلمي للكاتب (حبيب مونسي) وعنوانها (جلالته الأب الأعظم/الخطر الآتي من المستقبل) ، وقد سعينا من خلالها إلى دراسة الأنساق الثقافية في المتخيل الاستشراقي للعالم الافتراضي ، فخلصنا في نهاية هذه الدراسة إلى جملة من النتائج :

– يُعتبر النقد الثقافي فعالية أو آلية نقدية تعتمد على دراسة ما تنتجه الثقافة من خطابات فهو يهتم بدراستها لا من حيث جمالياتها فحسب ، بل من حيث علاقتها بالأيديولوجيا والمؤثرات التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتناولها بالدراسة والتحليل ، فهو يتعامل مع الخطابات باعتبارها علامة ثقافية لأنساقا ظاهرة وأخرى مشفرة، ووظيفته الكشف عن هذه الأبنية الثقافية الكامنة فيها ، وتحليلها من أجل إظهار تعارضاتها في سياقها الثقافي الذي أنتجها .

– النقد الثقافي ضروري حضوره كأداة إجرائية في قراءة النصوص وتأويلها مع النقد الأدبي حتى تكتمل صورة العمل الإبداعي جماليا على مستوى الفكرة والمضمون والبناء اللغوي المجسد لمدلول إيديولوجيات المضامين .

– طغت على سطح الرواية البؤرة النسقية لعتبة العنوان ، فقد جاء مستقرا دلاليا متارما نسقيا مما بعث فينا قلقا قرائيا جعلنا نبحت ونفتش عن مكامن الأنساق الثقافية المضمرة للعنوان ضمن حيثيات المتخيل الاستشراقي، انطلاقا من التمهيد المتمثل في الرسائل الانتحارية إلى المتن السردي ، والتي كانت ترمي في أبعادها الإيديولوجية لواقع الحاضر في المستقبل تحت خطر الدولة العالمية الموحدة لـ (جلالته الأب الأعظم) والذي يحاكي فيه الروائي نسقيا النظام العالمي الجديد بقيادة الماسونية .

- استطاع (حبيب مونسي) أن يميظ اللثام عن أسرار الماسونية ومخططها الماكر واللئيم في السيطرة على العالم وترسيخ العقيدة اليهودية ، فالتحليل الثقافي لرواية (جلالته الأب الأعظم) أظهر أنساقا سياسية ، في مضمورها مفارقات نسقية اجتماعية ، ودينية ، وفكرية مناقضة لغاية (جلالته الأب الأعظم) المعلن عليها في تأسيس دولته الموحدة ؛ وهذا تجلّى في الثنائيات (نحو بناء دولة مثالية / الخطر الآتي من المستقبل) و (التطهير / التدنيس في الدولة العالمية العلمية) ، التي من خلالها تحولت الثوابت والمبادئ والأخلاق الأصلية إلى قيم معدومة ، ليحلّ مكانها الفكر الماسوني وديانته كنسق مضر .

- كشفت رواية (جلالته الأب الأعظم) بين ضفتي الظاهر والمضمّر للأنساق الثقافية عن جذور الماسونية في الماضي والحاضر وفي العالم الافتراضي ، وهذا باستنساخ الكاتب للهيكل المادي والروحي للفكر الماسوني في دولة (جلالته الأب الأعظم) ، والذي كان حاضرا في اللغة السطحية للمتن الروائي من شخوص ، وأحداث ، ومشاهد سردية ، وحتى في تلك العبارات والسلوكات التي كانت لصيقة بالشخصيات ، والتي ترمي في مدلولها النسقي المضمّر إلى شيفرات الانتماء الروحي والولاء لهذا الفكر الماسوني.

- إذا كانت الأنساق السياسية ترمي في بعدها الإيديولوجي للنسق الضمني حول تأسيس الدولة الماسونية ، فإن الأنساق الدينية و المكتشفة بناءً على النصوص الدينية المستحضرة - التناص الديني - في الخطاب الروائي أكّدت ذلك ؛ كون رواية (جلالته الأب الأعظم)/الخطر الآتي من المستقبل (أخذتنا لعالم الخيال العلمي لما تحمله من تقنيات العلم والتكنولوجيا ، وجمالية التركيب الحكائي وما يتخلله من بنيات الفضاء والشخوص والزمان والأحداث ، فنقلنا فيها الرّواي من الحاضر ليحط بنا الرحال في مرجعيات الثقافة الدينية التي أخبر بها (النبي) " صلي الله عليه وسلم " ، وذلك ما يكون عليه الوضع في الشرق من فتن وما يشهده العالم الآخر .

- إنَّ إيديولوجيات الأنساق الثقافية المضمرّة والظاهرة للعالم الافتراضي في رواية (جلالته الأب الأعظم) أعطتها بعدا استشرافيا إسلاميا.

- إنَّ الرّواي أبرز بوضوح نسق التّحكم الاجتماعي من قبل الدولة العالمية ويظهر ذلك في تقسيم جلالته للمجتمع إلى طبقات أدناها طبقة العرب التي تم هضم حقوق أفرادها الإنسانية و سلبهم قدرتهم على التفكير وجعلهم تابعين له بقطعة رغيف مغموس في العرق.

- ما نلاحظه وجود نسق متضاد بين (دونية المرأة /فحولة الرجل) فقد كانت المرأة في الرواية هي الحاضر الغائب ،فظهرت على طول المتخيل السردى جسدا بلا روح ؛وهي إمّا آلة للمتعة ، أوآلة للحرب والموت لذلك عُيبت أدوارها الفطريّة من خريطة الدولة ،وإن وُجدت فذلك من قبيل المعجزات ؛ كأومومة (إشتار) لموسى ، فكلُّ هذا التهميش كان من قوانين الدولة العالمية، ومن عبقرية جلالته الذي ظهر في صورة ملك شبق لا يسأم من ممارسة الجنس إشباعا لفحولته وعلى نسقه سار الكاهن الأعظم ولكن بفحولة شاذة مرضية ، هذا الفساد والشذوذ هو نسق مخاتل يبرز فساد دولة تدّعي إنَّها ستخلّص البشرية من هوانها.

-وظف (حبيب مونسي) في تصويره للعالم الاستشرافي التكنولوجيا بأحدث تقنياتها من خلال شخصية (العقل الجبار) (الآلة) التي قادت العالم والأمة و خضع الجميع لأوامرها وأصبحوا تحت رقابتها الدائمة بما فيها فكرهم الداخلي الذي أصبح مقيدًا بها ، فهذا يرمي في مضمره بتغلغل الماسونية من خلال وسائلها الإعلامية و الاتصالية العين الرقيبة للبشرية واستقطابهم تحت رايتها .

- حملنا (حبيب مونسي) في خطابه الروائي الاستشرافي إلى عالم المستقبل المجهول المعلوم في النسقية الضمنية عبر خطية الزمن السردى الماضي والحاضر ، ليكشف لنا أنّ عالمه الافتراضي أصوله حاضرة في التاريخ و لا زالت ثابتة مستقبلا .

– لقد أوضح الخطاب الروائي تمكّن الكاتب من تلك النقلة الاستشرافية ذات المرجعية السياسية، والفكرية، والتاريخية، والدينية، والاجتماعية في نعت انتباه القارئ، ودعوته للتفطن بما هو قادم في المستقبل من خلال تمازج رؤيته الواقعية والمتخيّلة، وخلق التفاعل بين مختلف هذه الأطراف في دمجها مع بعضها البعض، وهو ما ساهم في تشكيل خطاب أدبي بلمسة استشرافية متعدد الأساليب كان الوصف أكثرها وأبلغها.

– اتضحت رسالة الكاتب من خلال منتجه الإبداعي هذا، في ذلك الحرص والخوف على البشرية وخاصة العرب مما ينتظرهم مستقبلاً تحت النظام العالمي الموحد والذي من وراءه اليهود، وما تخطط له في فرض هيمنتها بإتباعها استراتيجيات علمية وتكنولوجية مدمّرة لكيان الإنسان العربي في أخلاقه، ودينه، وفكره، وتعلّمه لتضرب بذلك نظام توالد المجتمعات العربية الأصيلة وبهذا يتزعزع النظام العربي الإسلامي وتحقق اليهود هدفها الأزلي في الماضي والحاضر والمستقبل.

– إجابةً لإشكالية البحث، ومن خلال ما توصلنا إليه نقول إن رواية (جلالته الأب الأعظم) نموذجاً من روايات الخيال العلمي التي تستشرف وقائع المستقبل وعوالمه وتستتطق له الأبعاد الإيديولوجية المُحمّلة ضمن المرجعيات الأولى عند بداية الكتابة، فمنه يمكن لرواية الخيال العلمي أن تحقق غاية إصلاحية في المجتمع بأسلوب أدبي تخييلي وبللمسة علمية مستشرفة، تستقطب بها القراء، وتشدّ أذهانهم، ومخيّلتهم للولوج في هذا العالم الاستشراقي وأخذ تجربة العيش فيه والتنبؤ بما هو قادم للتخلّي بالحيطه والحذر.

ليست هذه الدراسة إلاّ لبنة من صرح لن يكتمل بناؤه إلا بسواعد الجميع، فرواية الخيال العلمي تحتاج من الباحثين النقاثة صادقة تنتشلها من التهميش، كونها رواية تستشرف الماضي والحاضر في المستقبل في خطاب استشرافي، وجمالي، وإنساني يحافظ على الهوية الثقافية، والمبادئ الدينية والأخلاقية والاجتماعية للمجتمعات وخاصة ما لاحظناه بالنسبة للمجتمع العربي في رواية (جلالته الأب الأعظم) لـ (حبيب مونسي).

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- أحمد علي بن حجر العسقلاني، من فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ، المطبعة الكبرى الميرية ، مصر ، ط 1 ، 1301هـ.

- محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير ، مجلد 1 ، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط 3 ، 1988.

- مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، تح. رائد بن صبري ، دار الحضارة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط 2 ، 2015 .

أولاً : المصادر

01 - حبيب مونسي ، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل ، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر ، د، ط، 2002 .

ثانياً : المراجع باللغة العربية

02- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، ط 4، 2011.

03- أحمد حيدوش وحفصة عزوي ، النسق في الرواية النسوية العربية (رواية لحظات لا غير أنموذجاً) ، المدونة ، جامعة محند آكلي أولحاج ، البويرة ، الجزائر ، المجلد 6 ، العدد 3، ديسمبر 2019 .

04- أحمد موسى ناصر المسعودي ، الأنساق الثقافية في تشكيل صورة المرأة في الرواية النسائية السعودية ، الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2014 .

- 05- بوشعيب الساوري، الرحلة والنسق - دراسة في إنتاج النص الرحلي، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء، ط1، 2007.
- 06- جان غاتينيو ، أدب الخيال العلمي ،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،دمشق ، ط1، 1990 .
- 07- محمود محمد شاكر ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، مكتبة الأسرة ، مصر،(د ط) ، 1997 .
- 08- مصطفى النشار ، مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون ،دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت).
- 09- جميل حمداوي ، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان ، دار الريف للطباعة والنشر، تطوان ، المغرب ، ط5، 2015.
- 10- حسين السماهيجي وآخرون، عبد الله الغدامي والممارسات النقدية والثقافية، مطبعة سيكو، بيروت ، لبنان ط1، 2003.
- 11- دفيد سيد ، الخيال العلمي ، تر نيفين عبد الرؤوف ، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة القاهرة ، ط1، 2016 .
- 12- سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985.
- 13- سماح عبد الله الفران ، ثقافة النص - قراءة في السرد اليميني المعاصر، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 1436هـ - 2016 م.

- 14- صلاح قنصوة ، تمارين في النقد الثقافي ، دار ميريت ، القاهرة ، مصر ، ط1، 2002 .
- 15- ضياء الكعبي ، السرد العربي القديم - الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان ، ط1 ، 2005 .
- 16- عبد الغني عماد ، سوسيولوجيا الثقافة (المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2006.
- 17- عبد الفتاح كيليطو ، المقامات - السرد والأنساق الثقافية ، تر: عبد الكريم الشرقاوي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء، المغرب ، ط2، 2001 .
- 18- عبد الله إبراهيم ، المطابقة والاختلاف - بحث في نقد المركزية الثقافية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، لبنان، ط 1، 2004 .
- 19- عبد الله الغدامي ، المرأة واللغة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،بيروت ، ط3، 2006.
- 20- _____،النقد الثقافي . قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي دار البيضاء ، ط 3، 2005.
- 21- _____، ثقافة الوهم ، (مقاربات حول المرأة والجسد) ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب ،ط1، 1998.
- 22- عبدالله الغدامي و عبد النبي اصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ،دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1، 2004.
- 23- عبد الوهاب المسيري، قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثوي ،نهضة مصر للطباعة والنشر و التوزيع ، الجيزة، د س ن.

- 24- عصام البهي ، الخيال العلمي في مسرح توفيق الحكيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مص ، د.ط ، 1999 م.
- 25- لمياء عيطو، سرد الخيال العلمي لدى فيصل الأحمر، دراسة نقدية، دار الأوطان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2013،1.
- 26- مجدي وهبة وكامل مهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، د.ط،1979م.
- 27- محمد عزام ،الخيال العلمي في الأدب ،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،دمشق،ط1، 1994.
- 28- محمد علي الزّعبى ، الماسونية في العراق ، طبعة معتوق إخوان ، بيروت، لبنان ، ط 1 ، 1972.
- 29- يوسف عليّمات ، النسق الثقافي - قراءة في أنساق الشعر العربي القديم ، عالم الكتاب الحديث ، عمان ، ط 1 ، 2009.
- ثالثا : المراجع المترجمة إلى العربية
- 30- آرثر أيزابرجر ،النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ، تر: وفاء إبراهيم ورمان بسطاويسي ، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2003 .
- 31- إديث كرزويل ، عصر البنيوية ، تر: جابر عصفور ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط1 ، 1993.
- 32- اسحق أسيموف ، الحقيقة والخيال ، تر : جمال الدين الفندي وجابر عبد الحميد جابر ، دار المعارف ، مصر ، د، ط ، 1995 م.

33- زيودين ساردار ، بورين فان لون ، الدراسات الثقافية ، تر: وفاء عبد القادر ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، د ط ، 2003.

34- نيكلاس لومان ، مدخل إلى نظرية الأنساق ، تر : يوسف فهمي حجازي ، الحقوق محفوظة منشورات الجمل، كولونيا (ألماني) - بغداد ، ط 1 ، 2010.

رابعاً : المذكرات

35- السعيد قبّنة ، الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة (سفر القضاة ل : أحمد زغب أنموذجاً)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب واللغات، جامعة غرداية، 2021/2020.

36- فوزية تقار ، الإيديولوجيا والبنى الفنية في أعمال "حبيب مونسي" _ دراسة سوسيوبنائية _ ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب واللغات ،جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، السنة 2018/2017 .

خامساً : المجالات

37- أحمد قاسم أسحم ،النسق الثقافي المضمّر في شعر نزار الخاص بالمرأة (ديوان أحمد قصادي -نموذجاً) ،مجلة بحوث جامعة تعز ، يوليو 2019 ، العدد20، جامعة تعز ،اليمن.

38- بوشعيب الساوري، الخيال العلمي في الرواية المغربية الانشغالات والخصوصيات ،مجلة فصول النقد العربي ،عدد71.

39- المفاهيم الرئيسية ،مجلة جامع الشارق ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة زايد ، الإمارات العربية المتحدة العدد2،ديسمبر 2017.

- 40- حسين علي الدخيلي وهدى كامل خضير ، مصطلح الفحولة و تمثلاته في شعر شواعر العرب (في العصرين الجاهلي والإسلامي) ، الإشعاع ، جامعة ذي قار ، العراق ، العدد الثامن ، جوان،2017.
- 41- سارة بوروية ، تشكيل عوالم الذكورة المعطوبة في السرد النسوي (رواية مخالبا المتعة لفاطحة مرشيد أنموذجا) ،المدونة ، جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف ،الجزائر المجلد8، العدد 3 ، سبتمبر2021.
- 42- سعاد العبد ،قصص الخيال العلمي ،كمدخل للتدريس ،مجلة التربية ،العدد4،(د.ط) ، (د.ت)
- 43- سعد علي جعفر المرعب ، النسق الأنثوي في ديوان علية بنت المهدي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ،العراق ، م8 ، ع4 ، 31ديسمبر 2018 .
- 44- عبد الرحيم بوشاقور ، حبيب بوسفاذي ، حضور النسق الديني في الرواية الجزائرية (مقارنة ثقافية لرواية "مملكة الزيوان" للصديق حاج أحمد) ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ، عين تيموشنت ، مج12 ، العدد 03 ، ت 2020/11/30.
- 45- عبد الله حبيب التميمي ، سحر كاظم حمزة ، الشجيري ، دونية المرأة في المجتمع الجاهلي و فوقيتها في الخطاب الشعري ، مجلة بابل ، العلوم الإنسانية ، العراق، المجلد22 ، العدد 2 ، 2014 .
- 46- عبد الواحد رحال ، خطاب الديستوبيا في رواية جلالته الأب الأعظم لحبيب مونسي من خلال نماذج روائية غربية ،مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة برج بوعرييج ، الجزائر ، العدد3، جوان 2020.

- 47- فاطمة هلالي ، فارس لزهر ، ظاهرة التناص في رواية الخيال العلمي الجزائرية (جلالة الأب الأعظم نموذجاً) ،مجلة (لغة - كلام)،المجلد 06 ،العدد 04 ، المركز الجامعي بغيليزان / الجزائر ، 2020/12/10 .
- 48- فوزية تقار، رواية الخيال العلمي بين الواقع الانثوغرافي والمتخيل الافتراضي ،(رواية جلالتة الأب الأعظم) لحبيب مونسي نموذجاً ، جامعة الشهيد حمّـه لخضر ، الوادي (الجزائر)، مجلة المرتقي، المجلد 5 ، العدد 1 ،مارس 2022
- 49- فيصل الأحمر ، حداثّة الخطاب في أدب الخيال العلمي الجزائري ،منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر، العدد الخامس، جوان 2009.
- 50- محمد أحمد خطاب، دينامية التلصص الجنسي لدى الذكور (دراسة حالة)، مجلة الإرشاد النفسي ، العدد 69، ج1،يناير 2022،جامعة عين شمس ، مصر .
- 51- محمد أحمد مصطفى ، أدب الخيال العلمي الراهن والمستقبل ، فصول مجلة النقد الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ع 71 ، 2007 م.
- 52- معلم صفاء ، الخطاب الحضاري في رواية " جلالتة الأب الأعظم " لحبيب مونسي ، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية ، تبسة (الجزائر) ، المجلد 3 ، العدد 2 ، 2020 .
- 53- نادية بوجلال ،عبد الله الغدامي من النقد الثقافي إلى النقد الأدبي ،مجلة دراسات ، الجزائر ، جامعة الجزائر 2 ،العدد الرابع ،جوان ، 2016 .

سادسا : المواقع

54- أبو يوسف معروفى عمر الطيب ، انهزامية العقل فى تحديه للنقل فى رواية (الأب الأعظم) للكاتب الدكتور حبيب مونسي، <http://al-ghorba28.blogspot.com> تم الاطلاع 02/06/2022 ، التوقيت 11:00 .

55- جهينة العيسى، العلاقة بين الأنساق والتنمية الثقافية ،مدونة جهينة، يناير 2012، 11:02 م ،<http://bintsultan1.blogspot.com> تاريخ الاطلاع : 3 جوان 2022 ، التوقيت 06:13

56- حوار مع فيصل الأحمر ، تحت عنوان : مشروع الخيال العلمى بين الواقع والخيال ، أجرته نؤارة لحرش نشر بجريدة النصر بتاريخ : الثلاثاء 29 سبتمبر 2015 م.<https://www.annasronline.com/index.php> تاريخ الاطلاع : 22:00، 2022/02/28

57- حوار مع نبيل دادوة ،تحت عنوان :الخيال العلمى ... الفن المجهول فى الأدب الجزائرى ، أجرته نؤارة لحرش ، نشر بجريدة النصر بتاريخ : الثلاثاء 29 سبتمبر 2015 م.نقلا عن الموقع <https://www.annasronline.com/index.php> تاريخ الاطلاع : 2022/02/28 ، التوقيت : 21:00.

58- خالد عبد الرحمان، المسيح الدجال فى اليهودية ، المدونة المصرية ، الموقع <https://kemetiansite.wordpress.com> ، تاريخ النشر : 01/02/2020 ، تاريخ الاطلاع : 01/05/2022 ، التوقيت 21:00

59- خالد علي عياس القط ، دلالات الرموز والأرقام المقدسة في الفكر الماسوني ، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية ، العدد 26 ، 2017 ، ص 204 ، عن الموقع

https://mafa.journals.ekb.eg/article_30/04/2022 تاريخ الدخول 30/04/2022 التوقيت

10:00 صباحا

60- زعير نجود ، الخيال في الأعمال الأدبية ، عن الموقع

<https://www.aljazeera.net/bls> ، 2019/01/23 ، تاريخ الاطلاع يوم

2022/03/22 ، التوقيت : 20:32.

61- ماريان أبو نجم ، إشارات الماسونية باليد بالصور .. ومعانيها ، آخر تحديث 18 أوت

2021 ، 19:02 ، عن الموقع <https://www.almrsal.com/post/1105853> ،

تاريخ الاطلاع : 25/05/2022 ، التوقيت : 20:19

62- محمد عبد الحنان ، الخيال العلمي في الأدب العربي المعاصر ، دراسات ومقالات ،

مجلة أقلام الهند ، السنة الثالثة ، العدد الرابع أكتوبر-ديسمبر 2018 ،

<https://www.aqlamalhind.com> / ، بتاريخ 2022/03/22 ، التوقيت: 20:20 ،

نقلا عن صفات سلامة ، عميد الخيال العلمي العربي: صفات سلامة: الشرق الأوسط: 8

يناير 2011م: العدد: 11729.

63- نداء أبو أحمد ، الدار الآخرة (أشراط الساعة الكبرى -- المسح الدجال) ، شبكة

الألوكة www.alukah.net ،

64- ويكيبيديا ، أسرة ، <https://ar.m.wikipedia.org> ، تم الاطلاع بتاريخ

2022/06/02 ، التوقيت 10:00 .

65- عايدة الجوهري ،عصاب الفحولة ، الحوار المتمدن ،العدد 6036 ، 27 -10-

2018 ، 15:37 ، <https://www.ahewar.org> ، تاريخ الاطلاع :20-05-

2022، التوقيت :15:30

66-*Encyclopedia Britannica*: Neil Armstrong

تاريخ الاطلاع .<https://www.britannica.com/biography/Neil-Armstrong>

بتوقيت :13:30 23/03/2022

الفهرس

الصفحة	العنوان
أ	المقدمة
	مدخل نظرة عامة حول مفهوم (النقد الثقافي، النسق، أدب الخيال العلمي)
12	أولاً : مفاهيم ومصطلحات النقد الثقافي
12	1 مفهوم النقد الثقافي
14	2 مرتكزات النقد الثقافي
14	1-2 عناصر الرسالة (الوظيفة النسقية)
15	2-2 المجاز الكلي
15	3-2 التورية الثقافية
16	4-2 الدلالة النسقية (نوع الدلالة)
17	5-2 الجملة الثقافية
17	6-2 المؤلف المزوج
18	7-2 النسق
19	3 ماهية الأنساق الثقافية
20	1-3 مفهوم النسق
22	2-3 تعريف النسق الثقافي
25	4 أنواع الأنساق الثقافية
26	1-4 النسق الظاهر
27	2-4 النسق المضمّر
29	ثانياً : أدب الخيال العلمي
30	1- مفهوم الخيال العلمي في الأعمال الأدبية
33	2- الخيال العلمي في الخطاب الغربي والعربي
36	3- الخصائص الفنية والموضوعية لرواية الخيال العلمي
39	4- الخيال العلمي في الخطاب الروائي الجزائري
	الفصل الأول الأنساق السياسية والدينية في رواية "جلالته الأب الأعظم" لحبيب مونسي
46	أولاً: الأنساق السياسية في الرواية
46	1- استشراف الحكومة الخفية في المتخيل السردى
48	1-1 نحو بناء الدولة المثالية / الخطر الآتى من المستقبل
51	2-1 التطهير / التدنيس في الدولة العالمية العلمية
56	2- الماسونية المحفل الشيطاني الخفى في برتوكولات دولة الأب الأعظم
57	1-2 الرجل المعجزة / المسيح المنتظر
59	2-2 الهيكل المادى والروحى

66	ثانياً: الأنساق الدينية في الرواية
66	1- الحضور الديني الاستشراقي في متخيل (حبيب مونسي)
67	1-1 الأعر الدجال الخطر الآتي من المستقبل
74	1-2 موسى العرب مخلص البشرية
77	2- قيام دولة الإسلام على أنقاض الدولة العالمية
77	1-2 البحث عن الأنا وإثبات الوجود
78	2-2 مركزية المهمش وتهميش المركز
	الفصل الثاني
	الأنساق الاجتماعية ونسق المرأة في رواية (جلالته الأب الأعظم) لـ "حبيب مونسي"
83	أولاً : الأنساق الاجتماعية في رواية (جلالته الأب الأعظم) لـ "حبيب مونسي "
84	1- نسق التّحكم الاجتماعي في ظل الدولة العالمية
84	1-1 التمييز الطبقي
86	1-2 التبعية الفكرية والاقتصادية
88	2- تشظي وتفكك المجتمع في تحت سيطرة الرجل المعجزة
89	1-2 تلاشي المجتمع المدني في رواية " جلالته الأب الأعظم "
93	2-2 تفكك الأسرة في مجتمع رواية " حبيب مونسي "
97	ثانياً: نسق دونية المرأة وفحولة الرجل في رواية (جلالته الأب الأعظم) لـ "حبيب مونسي"
97	1- نسق دونية المرأة في الرواية
98	1-1 المرأة الجسد
101	1-2 المرأة الأم
103	1-3 المرأة الآلة
108	2- نسق الفحولة في الرواية
110	1-2 فحولة جلالته الأب الأعظم
112	2-2 الفحولة المرضية
117	خاتمة
122	قائمة مصادر والمراجع
132	الفهرس
	ملخص الدراسة

الأنساق الثقافية في رواية الخيال العلمي

رواية "جلالته الأب الأعظم" لحبيب مونسي أنموذجاً

ملخص الدراسة :

في ظل انفتاح العمل الروائي وتعدد مجالات انشغاله العلمية والاجتماعية والثقافية تتطلق هذه الدراسة من إشكالية الكشف عن الأبعاد الإيديولوجية المحمّلة في الأنساق المضمره لرواية الخيال العلمي في العالم الافتراضي ، وذلك بتحليلها وفق مقاربات النقد الثقافي ، و أما المدونة الروائية المختارة - موضوع الدراسة - فهي بعنوان (جلالته الأب الأعظم / الخطر الآتي من المستقبل) للروائي " حبيب مونسي " .

تناولنا في المدخل التمهيدي منها المجال المفاهيمي ؛ كمفهوم النقد الثقافي والنسق والخيال العلمي في الأدب ، كما ألقينا نظرة مقتضبة حول نشأة أدب الخيال العلمي وبالأخص الرواية عند الغرب والعرب ، لنتطرق في آخر جزئيته إلى الخيال العلمي في الخطاب الروائي الجزائري .

ويتضمن هذا البحث فصلين تطبيين ، يُستتق في أولها الأنساق السياسية والدينية في دولة (جلالته الأب الأعظم) ، لنغوص في الثاني لاستشفاف النسق الاجتماعي والحضور الضمني للمرأة ، والفحولة بصورٍ ومشاهد انزياحية غير المألوف لهما في الرواية العادية .

لنتضح لنا أهمية المتخيّل السردى العلمي في تقديمها أطروحات متنوعة تمسّ الكيان الإنساني بين ضفتي الواقع والخيال في المجال الديني والسياسي ، والسلطة وعوالم القداسة ليبيّن لنا العمل الروائي أهم قضية ستواجه الإنسان مستقبلاً تحت النظام العالمى الجديد وهو الماسونية .

الكلمات المفتاحية : النسق الثقافي ، المضمّر ، الخيال العلمي، حبيب مونسي.

The cultural patterns in the scientific fictional novel: (His Majesty as a Greatest Father) for Habib Mounsi as an example

Summary of the study :

During the openness of novels' writing and the variety of its scientific, social and cultural fields, we start our study from the problematic of discovering the ideological dimensions which exist in the hidden patterns in the scientific fictional novel in the virtual world according to the analysis of critical and cultural approaches .

The selected novel as a subject study is : (His Majesty as a Greatest Father / The danger that coming from the future) for the novelist : Habib Mounsi .

We have dealt in the introduction with the conceptual field such as the concept of cultural criticism and the scientific fictional pattern in literature. We have also mentioned briefly the emergence of the scientific fictional literature especially the novel for the Arab and for the west .

As if in the last part we are going to deal with the scientific fictional speech in the Algerian novel . This research includes tow applied chapters :

In the first one , we discover the political pattern in reference to the laws of : (His Majesty as a Greatest father) .

Concerning the second chapter we depict the hidden social presence of woman and the chivalry in an unusually scenes which did not exist in the ordinary novel . So; it appear clearly the importance of the scientific fictional narration in presenting different thesis touches human being between fact and fiction in religion and politics .

Thus , novels' writing convey the most important issue that will face humans in the future under the new global regime “ Masonry”.

key words:

Thecultural pattern/ hidden/ the scientific fictional/HabibMunsi